بداية ونهاية عبقرى الحرب فى القرن العشرين !!

روميـــل

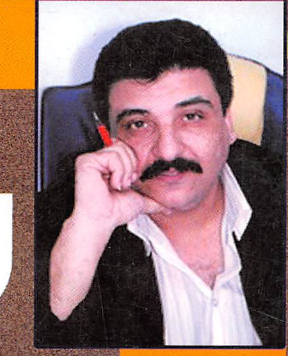
الثعلب..والأسطورة



عصام عبدالفتاح

جزيرة الورد

للنشر والتوزيع



روميـــل

الثعلب..والأسطورة

قصته مختلفة..

عبقريته لا يختلف عليها اثنان..

إنه "روميل" أكثر جنرالات الحرب المعاصرة شهـرة.. وشعبية في كل بلدان العالم.. هذا على المستوى العسكري.. أما على المستوى الإنساني فقد كان رجلا مختلفا.. يحبه كل من يقترب منه.. فهل كانت الكاريزما الخاصة التى يتمتع بها هي السر في ذلك ؟ أم سخونة.. وأهمية ما قاده من معارك في تحديد مسار الحرب العالمية الثانية هى التى أحاطته بتلك الهالة ؟

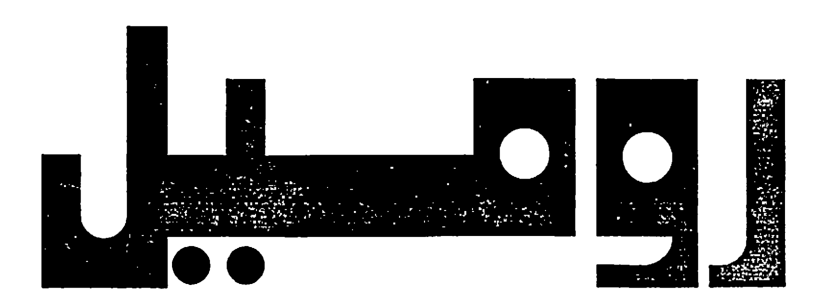
سؤال يمثل محور هذا الكتاب.. نخرج من بين سطور الإجابة عنه بملامح أخرى عن هذا القائد الذى نراه مظلوما.. بنفس القدر الذي يصفه فيه التاريخ بالعبقرية العسكرية.

ERWIN ROMMEL

جزيرة الورد
للنشر والتوزيع
Tel:02 278 77 574 - 010000 40 46

تصميم الغلاف: ياسر فوده ٠١٠١٢٧٨٤٣٥٦

بداية ونهاية عبقري المدرعات في القرن العشرين!!





الثعلب.. والأسطورة

عصام عبد الفتاح

مكتبة جـزيرة الورد

القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل
شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا
ت: ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٢٩٩٦١٦٣٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : روميل .. الثعلب .. والأسطورة

المـــــؤلف : عصام عبد الفتاح

رقم الإيداع

١٣٨٨٨ / ٢٠١٠

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل الرئيسي - شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا . ت: ٠٢ /٢٧٨٧٧٥٧٤

محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦



مقدمة

قصته مختلفة..

عبقريته لا يختلف عليها اثنان..

إنه «روميل» ذلك القائد أحد أكثر جنرالات الحرب المعاصرة شهرة.. وشعبية في كل بلدان العالم.. وليس في وطنه «ألمانيا» فقط.. لأننا لو تحدثنا عن مكانته هناك لوصفناه بأنه الأكثر تميزاً.. وشعبية في التاريخ الألماني كله..

وما بين شعبية روميل في موطنه ألمانيا..

وشهرته المدوية خارج حدودها..

نُسجت ملامح سيرة هذا القائد الذى تحول باسمه.. ومعاركه.. ومواقفه بين جنوده.. وضد القيادة السياسية في بلاده إلى صاحب واحدةٍ من أهم صفحات التاريخ العسكري بلا نزاع.

حتى على المستوى الإنساني كان رجلاً مختلفاً.. يحبه كل من يقترب منه.. وأكبر دليل على ذلك أنه عندما رحل إلى إيطاليا امتثالاً لأوامر القيادة العسكرية.. ليحارب جيشها لم يكرهه الإيطاليون.. بل أحبوه.. وقدروا تماماً أنه مجرد «جندى» مهما علت رتبته العسكرية عليه أن يؤدى واجبه.. ويُنفذ ما تمليه عليه قيادته من أوامر.. وبعد الحرب كتب أحد الجنود الإيطاليين يقول عنه:

(إن الذكرى التي يحفظها أمثالي من المناضلين للفاشية عن «روميل» لهي ذكرى خالية من الحقد.. نعرف أنه جزء من تاريخ الاشتراكية القومية.. بالتالي فهو جزء كبير جدًّا من التاريخ الألماني.. لكنه أولاً وأخيراً كان رجلاً عسكريّاً.. وبالرغم من ذلك لم نسمع عن قيامه بأية أعمال عنف ارتكبها ضد أفراد المقاومة الإيطالية).

وكتب عنه أحد زملاءه قائلاً:

(عندما أخبروني عن «روميل» قيل لي إنه قائد شجاع يهاجم مندفعاً.. بدون تغطية يميناً أو يساراً.. ولكنه يحقق النجاح دائماً.. وهذا ما تأكدت منه لاحقاً).

وكتب أحد جنوده في معركة العلمين يقول:

(كان رحيل «روميل» أكثر ما أضعفنا.. رحنا نتساءل إذا ما كان سيعود أم لا ؟ ارتبنا كثيراً كنا نشعر بأن وجوده وشخصيته يدعماننا.. فقد كان «روميل» أهم في نظرنا من جميع ضباطنا).

وتعددت المؤلفات التى ترصد حياة الرجل.. وبالتالى تعددت توصيفاته.. لكن بقيت كلمات «هتلر» هي الأكثر دقة في توصيف روميل..فماذا قال هتلر عن روميل:

(كان «روميل» مخططاً عسكريّاً عبقرياً.. إنه أكثر جنرالات فرق الدبابات جرأة في الجيش الألماني.. وهو بمثابة يدي اليمنى وهو ليس مقرباً منا نحن الاشتراكين وحسب.. أو القوميين وحسب.. بل هو نفسه اشتراكي قومي).

وتقول المصادر التاريخية أن «روميل» كان يدين بالكثير لهتلر وبالتالي كان شديد الإخلاص له.. ونختلف مع من قالوا ذلك.. ونقول نحن: أن روميل هو من يستحق الشكر من هتلر.. وبالتالى هو من يدين زعيم النازية.. وليس العكس.. فأشهر المعارك التى كُتِبَ النصر فيها لألمانيا الهتلرية كان الفضلُ فيها لروميل بعبقريته العسكرية التى أشاد بها هتلر نفسه بالشكل الذى ذكرناه.. كما أن إخلاص روميل كان لوطنه أولاً.. وأخيراً.. وليس لأشخاصٍ أياً كانوا..

ونعود لما أسميناه «أسطورة روميل» ونتساءل: هل الكاريزما الشخصية لذلك القائد كانت هي السر في ذلك ؟

أم سخونة.. وأهمية ما قاده من معارك في مسار الحرب العالمية الثانية هى التى أحاطته بتلك الهالة ؟

سؤال يمثل محور هذا الكتاب.. نخرج من بين سطور الإجابة عنه بملامح أخرى عن هذا القائد الذى نراه مظلوماً.. بنفس القدر الذي يصفه فيه التاريخ بالعبقرية.

مظلوماً لإخلاصه الشديد لوطنه بالشكل الذى قَبِلَ فيه أن يدفع حياته ثمناً لإبقاء شعلة الأمل فى انتصار ألمانيا في الحرب الثانية موقدة.. بعد أن وصل الشعب الألماني.. والجيش إلى مرحلة اللاعودة.. وكان هتلر يبحث عن محلل شرعي لاستمراره في موقعه كرئيس للرايخ الثالث.. وكان من المستحيل أن يستتب له الأمر على هذا النحو دون أن يجد من يُحمله فاتورة الخسائر المتلاحقة التى مُنيَ بها الجيش الألمانى في معارك الحرب الأخيرة.. وعليه إما أن يجد هذا الرجل.. وإما أن يدفعها هو.. ولم يجد أمامه إلا خيرة قادته «روميل» الذى قبِلَ - بالشكل الذى سنراه في حينه – أن يسدد عنه تلك الفاتورة السوداء.. وهكذا يُثبتُ لنا التاريخ مرةً تلو الأخرى أن مجانين السلطة ممن هم على شاكلة هتلر.. يدفع ثمن أخطاءهم خيرةُ قوادهم ممن هم على شاكلة روميل..

وهيا إلى صفحات الكتاب.

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

تمهيد
ألمانيا والعالم
بين الحربين
(مرحلة التحول النازي!!)

بزغ اسم «روميل» وبدأت تتناوله الألسنة في توقيت مرتبط تماماً بحقبة النازية.. أهم مراحل تاريخ ألمانيا الحديث.

وبدأت تلك الحقبة بوصول أدولف هتلر إلى منصب المستشارية بتكليف من الرئيس هندنبرج سنة ١٩٣٠م ثم عبر الانتخابات سنة ١٩٣٣ وعلى إثر وفاة هندنبرج سنة ١٩٣٤ جمع هتلر بين منصبي المستشار ورئيس الدولة ثم تحول إلى الزعيم الوطني الأعظم «الفوهرر» وقضى على كل معارضة بالبلاد.

وقد تضمن كتاب هتلر « كفاحي» مختلف رؤاه للسياسة والدين والدولة والمجتمع والقومية والوطنية..مثلما ألف موسوليني كتابه «حياتي» وقد كان هتلر معجباً بشخصية موسوليني غير أن هذا الأخير كان يرى في الدولة هدفاً رئيسياً للسياسة الفاشية.. بينما يرى هتلر في الدولة وسيلة أساسية لتحقيق السياسة النازية.. وفي الوقت الذي كان فيه هتلر تلميذاً تابعا لموسوليني فقد صار فيما بعد موسوليني تلميذا تابعا لهتلر.

كان هتلر يرى في الشيوعيين عقبة أمام الوصول إلى السلطة وتحقيق الدولة.. لأجل ذلك عمل على تنحيتهم من الطريق بمختلف الوسائل.. من ذلك إحراق البرلمان الذي لفقه إليهم وتابعهم به.. كما كان يرى في اليهود عنصراً مفسداً للمجتمع والاقتصاد الألماني.. ولا يمكن لألمانيا أن تتحرر حقيقة وتتطور بدون التخلص من هذين العنصرين.. وقد استطاع هتلر بمنطق القوة أن ينقل ألمانيا خلال سنوات إلى دولة قوية ثقيلة الوزن على المستوى الدولي.. لكن أحلامه المغالية وغروره وعنصريته ومغامراته وبطانته وشعب ألمانيا وحلفاءه والعالم معه.. كل ذلك جره إلى حرب شرسة دفع الكل ثمنها باهظاً ودفع هتلر حياته ثمنًا لذلك ، ومع هذا فقد أفرزت النازية والحربان الضروسان دولة ألمانية قوية متطورة.

ثم على طريقة «الفلاش باك» نعود بالذاكرة للوراء قليلاً فعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها.. وأُرخيت سدول النهاية على مسارح الأحداث بها.. كان العالم أجمع على موعد لبدء فصول مأساةٍ أخرى اسمها الحرب العالمية الثانية.

وكانت الحرب الأولى بكل معاركها.. وأحداثها.. ونتائجها بمثابة الرحم الذي تمخض ليلد الكارثة الأكبر وهي « الحرب العالمية الثانية».

ويمكننا القول أن المسافة الزمنية الفاصلة بين عامي ١٩١٨ « عام انتهاء الحرب الأولى ».. وعام ١٩٣٩ عام اندلاع بد ايات الحرب الثانية.. كانت فترة حمل متعثر وكئيب.. لتلد البشرية قيصرياً معارك مثل «هيروشيما ونجازاكي.. بيرل هاربور.. والعلمين ».. وغيرها من تلك المآسي الإنسانية التي حملت صفة المعارك.. هذا على المستوى العسكري فقط.. فماذا عن المستوى السياسي.. أو الحضاري.. أو الاجتماعي للإنسانية.

نستطيع أن نرصد هذه الملامح نشأة الديكتاتوريات.. توالت الأزمات العالمية اقتصادياً.. ظهور المارد الأمريكي بكل وجهه القميء ليعلن عن تدشين عصر الإمبراطورية الامبرالية.. والاحتكام هنا إلى قوة ما يملكه من سلاح ردع غير مسبوق.. لوح به في وجه الجميع.. بإلقائه قنبلتيه الذريتين على « هيروشيما » و« نجازاكي ».

وفي المقابل حاول الاتحاد السوفيتي عبر عقودٍ عديدة أن يوازن طرفي معادلة القوة المطلقة.. وأن يجلس قابعاً بشيوعيته على الكفة الأخرى لميزان قوى لم يتزن أبداً منذ ذلك الحين.. فكان مصيره دائماً حتى في عز قوته.. وترابطه قبل تحلله المهين هو الفشل الذريع.. ودخل العالم عصر القوة المنفردة.. وأصبحت أمريكا.. تمسك باللجام.. وتقود العالم كيفما شاءت..

وكما كان للحرب العالمية الأولى آثارها على مختلف مستويات القارة الأوربية أو الأمريكية.. أو باقي العالم.. فضلاً عما خلفته من أعداد خيالية من القتلى.. والمنكوبين.. والمشردين والدمار المهول للعمران والمنشآت.. وما ترتب عن ذلك من انعكاسات اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية وثقافية وأيضا فنية وعلمية..فقد كان للحرب العالمية الثانية آثارها هي الأخرى التي تفوق كل ذلك.. وأكثر.. كان لهذه المخلفات امتداد وإفراز لأحداث أخرى طبعت ما تبقى من القرن العشرين..

وكانت كلمة النهاية في الحرب الأولى هي « مؤتمر فرساي » الذي جاءت نتائجه مخزية للعديد من الدول التي انتهت الحرب بهزيمتها.. خاصةً ألمانيا التي عانت من ردود أفعال قوية خاصةً على المستوي الشعبى الداخلي.. فلم يكن من السهل على أبناء الدم الأزرق تقبل الهزيمة بسهولة.. وهو نفس ما انتهى إليه الحال داخل باقي الدول التي لم تستفد من الغنائم أو تضررت بفعل الحرب مثل إيطاليا.. وكان التضرر الذي شهدته فئات عريضة من شعوب مختلفة الأقطار قد أدى بهذه الفئات إلى السير وراء نداءات الأحزاب الوطنية المتطرفة يمينياً.. ويسارياً.

وقادت تلك الموجات العارمة من الغضب والرفض الشعبي تنظيمات النقابات العمالية.. والهيئات.. والأحزاب السياسية.. والاجتماعية التى تكونت بسبب سوء الأوضاع الاجتماعية وهي النتاج الطبيعي.. والمنطقي لما مر بالعالم من أحداث.. كما أن عاملا آخر كان له حضوره المتميز والمنسجم مع نوعية الظروف هو المنظمات والجماعات والجمعيات اليسارية سواء الاشتراكية أو الشيوعية ذات الطابع السياسي أو النقابي التي تأثرت بالفكر الماركسي الذي بدأ ينتشر.. ويتغلغل داخل العديد من الدول في أوروبا .

العالم بين الماركسية.. والشيوعية.. وأيدلوجيات أخرى..

صارت موسكو عاصمة أول دولة شيوعية في العالم وقبلة لجميع الشيوعيين وفيها انعقد أول ملتقى رسمي لهم.. وكان الجو العام المتأثر بنتائج الحرب مناسبا في أوروبا على الخصوص.. وقد عقدت الجماهير آمالها في الخلاص على التجمعات السياسية والنقابية ذات التوجه الغاضب والمتطرف سواء اليميني أو اليساري.. كما أن هذه التوجهات قد وجدت في الجماهير الغاضبة وقودا لإضرامه على الأنظمة التقليدية التي فشلت في إيجاد حلول للأزمات الكاسحة.

وهكذا دخلت معظم الدول إلى عهد الأنظمة الامتدادية أو الديكتاتوريات.. وفي طليعة هذه الوضعيات كانت روسيا التي تخلصت من الحكم القيصري سنة ١٩١٧م وانسحبت من الحرب العالمية وأعدمت فيها أسرة رومانوف الحاكمة مع حاشيتها من الأمراء والوزراء والأعيان ورجال الدين والأعوان.. ثم اقتصر الحكم على البلاشفة (الأغلبية) بعد أن أُقصِيَتْ الفئات الأخرى من الثوار ومن ضمنهم المناشفة (الأقلية) ودانت البلاد لـ«لينين» ورفاقه إلى حين وفاته في يناير من سنة ١٩٢٤م.. فصارت مقاليد الحكم إلى صديقه جوزيف دوجاشفيلي الملقب بستالين أي الفولاذي الذي حول السلطة في روسيا من ديكتاتورية الثوار إلى ديكتاتورية الشيوعيين الماركسيين إلى أن صارت ديكتاتورية فردية كليانية في قبضة ستالين وحده.

وقد عاني الكل من جبروت ستالين حتى رفاقه المقربون من لينين بالأمس فقد أقصى كل من لا يسير على مزاجه بالقتل أو بالحبس أو بالنفي الداخلي أو بالنفي الخارجي أو بالتهميش أو بالتشريد أما المعارضين أو المتخلفين عن تنفيذ أوامر

ستالين فقد عوقبوا وهم ألوف إما إعداما أو حبسًا أو نفيًا إلى سيبريا وغيرها أو إلى الخارج ولم ينج إلا من أذعن إذعانا كليا لإرادة ستالين .

وقد توسعت روسيا في عهد ستالين لتصبح إمبراطورية مترامية الأطراف داخل حدود القارتين الآسيوية والأوربية تضم خمسة عشر جمهورية كبرى تكون الاتحاد السوفياتي عدا ثمانية عشرة جمهورية تكون اتحاد روسيا.. وقد خضعت معظم شعوب هذه الجمهوريات للاتحاد بالإكراه والغزو والحروب والمعاهدات على حساب الإمبراطورية العثمانية و إيران والصين والدول الضعيفة في شرق أوروبا واليابان.

كما عانت هذه الشعوب البطش الستاليني وسياسته من أجل الهيمنة.. وتفنن في نقل الشعوب والقوميات من منطقة إلى أخرى حتى يسهل التحكم في الإمبراطورية كما فعل بالأرمن الذين نقل جزءا منهم إلى قره باغ في أذربيجان.. وبالأبخاز في جيورجيا.. وباليهود في الخزر وقد نَكَلَ بالأديان و الثقافات فصادر الإسلام والمسيحية واليهودية.. ودمر المساجد والكنائس والمعابد.. وحظر تعليم القرآن وتداول المصحف والسفر للحج.. ودمر المعالم الإسلامية في مناطق تواجد المسلمين -وهي كثيرة فطمس مساجد سمرقند وبخارى وخوارزم وسوخومي لكنه مع اشتداد طغيانه المنافي لصميم الاشتراكية على حساب نظام السفخوزات الذي يقدس دور الدولة وتجاوز سياسة لينين والروح الخالصة للماركسية ولمبادئ الثورة.. إلى انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة.. فأحدث النظام الاقتصادي للمخططات الخماسية الذي استمر من ١٩٢٨م إلى ١٩٤٢م حيث انبثقت دولة قوية على المستوى الدولي تنافس أكبر الدول آنئذ فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة.. فكان يتم تجميع الأراضي لحساب الدولة أو نظام الكلخوزات وتطوير الإنتاج

ونظام المواصلات والصناعة الاستهلاكية والكيميائية ونظم الطاقة.. وتكوين جيش كبير قوي مسلح ومجهز تجهيز في معظمه محلي ومدرب.

تحول إيطاليا..

وقد تحولت إيطاليا أيضًا إلى النظام الاستبدادي عند استيلاء الفاشيين على السلطة بزعامة بينيتو موسوليني بعد سباق مع الشيوعيين وبالرغم من وجود الملك فكتورعمانوئيل فإن الدوتشي موسوليني قد غير الأوضاع بالبلاد وتأثرت علاقات إيطاليا بالخارج.. ودعا إلى استعادة مجد روما وتسخير كل المقدرات من أجل بناء دولة عظيمة.. وقد ركز لأجل ذلك على العنف في الداخل وفي الخارج وفي تسابق مع الدول الاستعمارية غزا ليبيا والصومال.. ثم غزا الحبشة وتحول من حلف «ستريزا» مع إنجلترا وفرنسا إلى التحالف مع ألمانيا واليابان.. فكان ذلك من أسباب قيام الحرب العالمية الثانية.. وكانت ألمانيا أكثر تأثرا من غيرها بالحرب العالمية الأولى ونتائج قمة فرساي حيث تذمر المجتمع وانحسرت التنمية وشل الاقتصاد وعجز الحاكمون.. فكان كل ذلك موعزًا لليسار المتطرف في شخص الشيوعيين.. واليمين المتطرف في شخص الوطنيين (النازيين) في تأطير وتوتير الغضب الشعبي.

الصين..

شهدت الصين هي الأخرى ديكتاتورية عسكرية تمثلت في اللواء تشانغ كاي شيك الذي أصبح رجل الصين الأول بعد وفاة الزعيم الوطني «صن يات صن» وأمام مطالب الوطنيين وتنامي الخطر الياباني وتأثير المد الشيوعي الوافد من روسيا المجاورة وتفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالبلاد فقد وجد «تشانغ كاي

شيك» في الولايات المتحدة الأمريكية داعمًا أساسيًا له.. لكن راحته لم تدم طويلا مع غزو اليابان لمنشوريا وتصاعد قوتها الضاربة بالمنطقة ومع ظهور الزعيم الشيوعي الثائر «ماووتسي تونج» الذي استطاع أن يكسب تأييد عددا كبيرا من مختلف الفئات الشعبية بالبلاد مستفيدا من كل الأوضاع ومن زهو الشيوعية المتألقة آنذاك .

دول أخرى..

أما أقطار أوروبا فقد تفاقمت أزماتها الاقتصادية واستفحل فيها التضخم النقدي ثم وصلت إلى التضخم الجامح.. فأصبح الأمل في كثير منها معقود على أحزاب التطرف بعد الفشل الذريع للأحزاب التقليدية.. لكن ليست هذه الديكتاتوريات وحدها التي شهدتها فترة ما بين الحربين العالميتين.. بل شهدت أقطار أوروبية أخرى أنظمة لا تقل استبدادا مثل :

- حكم الكونت بيتهلين في المجر سنة ١٩٢٠م..
- حكم زانكوف في بلغاريا بدءا من عام ١٩٢٣م..
- نظام الجنرال سالا زار في البرتغال الذي استمر عقود متصلة منذ عام ١٩٢٦م..
- حكم المستشار دولفوس في النمسا ابتداء من ١٩٣٢م..
- نظام ستويادينوفيك في يوغسلافيا ابتداء من سنة ١٩٣٥م..
- حكم الجنرال ميتاكساس في اليونان ابتداء من سنة ١٩٣٦م..

كما قامت ثورات شيوعية في عدد من بلدان أوروبا الشرقية تحولت بعدها النخبة الماركسية المنتصرة إلى حكم استبدادي غالبًا ما يتركز في شخص واحد كما هو الحال

في ألبانيا ورومانيا ثم يوغسلافيا..

مصطفى كمال أتاتورك ديكتاتور العرب الأكبر..

أما أهم ديكتاتورية شهدها العالم الإسلامي والعالم الثالث في تزامن مع هذه الأنظمة فهي ديكتاتورية مصطفى كمال أتاتورك الذي حول الانقلاب الدستوري لجمعية الاتحاد والترقي إلى سلطة فردية.. وتحت ذريعة نقل تركيا إلى دولة حديثة متطورة مُلحقة بأوروبا.. ثم ألغى الشريعة الإسلامية ومعها الخلافة الإسلامية وحارب كل ما يتصل بالإسلام فحَدَّ من عدد المساجد والمدارس الإسلامية والفقهاء والدعاة وأقَرَّ صيغة الأذان بالتركية وفرض كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية.. ومنع المظاهر الإسلامية والشرقية والتقليدية.. وأحل محلها الأوروبية.. وأقر العلمانية والليبرالية ومكن للجيش.

العالم العربي.. والإسلامي..

كما بدأت الأنظمة الديكتاتورية تنتشر في أقطار العالم الإسلامي والعالم الثالث تحت ذرائع أخرى.. من ذلك نظام رضا بهلوي في إيران الذي أتى على أعقاب حكم القاجار بدعم من بريطانيا والذي خلفه على العرش ابنه محمد رضا بهلوي بانقلاب إنجليزي وإشراف أمريكي على نفس المنوال سارت كوريا المتحررة من اليابان.. وكانت أنظمة أخرى وأشخاص يستعدون لدول قطرية سينتجها الاستعمار .

لقد كانت الديكتاتوريات في العالم الغربي على الخصوص ومعه روسيا نتاجا على المستوى السياسي من مخلفات الحرب العالمية الأولى.. كما وجد الفكر الماركسي واليساري والعمل النقابي بسبب ذلك مجالا للتوسع والتطور.. وقد خلفت الحرب على المستوى الاقتصادي نتائج عسيرة طالت دول أوروبا فانسحبت على مستعمراتها..

أمريكا اللاتينية..

وقد شهدت أقطار أمريكا اللاتينية أنظمة استبدادية معظمها عسكري تدعمه عصابات التهريب والمخدرات والشركات الكبرى وتجار الذهب والألماس والأسلحة والمخابرات الأمريكية.. بعض هذه الأنظمة كان ماركسيا وغالبيتها عسكرية محظة .

المارد الأمريكي..

غير أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعيش فترة انتقال حضاري إلى دولة تأخذ طريقها نحو طليعة العالم.. خصوصًا أنها بعيدة عن مجالات الحرب والتوترات.. وكانت قد استكملت وحدتها بعد أكثر من قرن من الصراعات مع بريطانيا وإسبانيا وفرنسا وهولندا و المكسيك.. حيث تطور الصراع لينبثق عنه اتحاد في القرن العشرين لخمسين ولاية محتوية على كل مقومات القوة من مقدرات طبيعة تشمل الفلاحة والماء والمعادن والسهول والأنهار والبحار والبحيرات والجبال والصحاري.. كما شهدت البلاد هجرات متدفقة للطاقات البشرية النوعية من مختلف جهات العالم لظروف مختلفة وهكذا تطورت الاختراعات والتقنيات والابتكارات الحضارية بالبلاد .



الرأسمالية واقع العالم الجديد

وأصبحت الرأسمالية واقعا جد متطور على ما هو عليه الحال بالأقطار الكبرى لأوروبا الغربية.. فقد نشط إنتاج الطاقة ولم يعد مقتصرا على الفحم الحجري بل شمل قطع الكهرباء ثم ظهر النفط ليوسع ميدان الصناعة والطاقة.. فانتشرت مختلف مصانع وأدوات الاستعمال المنزلي وأجهزة الاتصال والآلات والسيارات.. وآلات الزراعة والملاحة البحرية والترفيه كما أصبحت السينما مجالاً صناعيًا واتخذت هوليود بضاحية لوس أنجلوس ميدانا لهذا الغرض.. وقد نشطت مؤسسات «تايلور»و«فورد»و«كريزلر»و«جنرال موتورز»كما نشطت المؤسسات التي أصبح لها نفوذ في الخارج أيضًا.. غير أن هذا التطور الفاحش المتوحش للرأسمالية بأمريكا لم يكن يسري على كل قطاعات المجتمع الأمريكي الذي كان يشهد التباينات الحادة في تركيبته.. لم يكن مضبوطا من طرف نظام متمكن للدولة ولم تكن هذه القطاعات الرأسمالية المهووسة بدافع الربح والسبق.. تشهد ديمقراطية تضبط سلامة مسارها وتخول للكل المشاركة والاستفادة منها .

أزمة اقتصادية مفاجئة..

وما لبث أن تحول هذا الوضع إلى أزمة اقتصادية مفاجئة في سنة ١٩٢٩م عقب الانهيار المفاجئ لأسعار الأسهم فيما سمي بـ «الخميس الأسود» في ٢٤ أكتوبر من هذه السنة.. وقد استفحل الأمر وانهار الاقتصاد وتضررت مختلف المؤسسات وانتقل الضرر إلى مختلف الفئات الاجتماعية بالبلاد.. وقد استشرى ذلك في باقي دول العالم حيث أن الدول الأخرى كانت تستفيد من المساعدات الأمريكية وترتبط

بالاقتصاد الأمريكي فيما عدا الاتحاد السوفياتي الذي شق طريقًا مستقلاً عن الرأسمالية الغربية معتمدًا على ثورته الاشتراكية وإمكاناته الذاتية.

اليهود هم المستفيدون..

أما الفئة التي استفادت جيدا من أزمة ١٩٢٩م الأمريكية والعالمية فهم اليهود الذين يتعايشون بشكل متميز في كل مجتمع بخلفية الأقلية المنبوذة والمضطهدة والمهددة في كل مكان حيث دفعت وضعية «اللاسامية» في أوروبا عديدا منهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد وقد كانوا متكاتفين في كل مشاريعهم هناك حيث أبدعوا في تجارة الذهب وامتلاك أساليب التجارة وإبداع نظام البنوك والتعامل الربوي الذي توارثوه وطوروه منذ قديم الزمان.. وقد استثمروا الثورة الفرنسية والثورة البلشفية والحرب العالمية الأولى لصالحهم.. كما كانوا فطنين لحدوث الأزمة الاقتصادية فسارعوا إلى بيع الأسهم قبل استفحال الأزمة.. ثم عادوا لشرائها مع تدني أسعارها بشكل كبير.. وقد أدى واقع الأزمة بالحكومة الفيدرالية بالولايات المتحدة إلى نهج سياسة تقتضي بتدخل الدولة في توجيهات اقتصاد البلاد.. وقد اتهمت حكومة روزفلت الديمقراطية الحكومات الجمهورية السابقة للرؤساء وهاردينخ و كوليدج وهوفر بالتورط والمسؤولية عن الأزمة.

وشرع روزفلت في تطبيق خطته الجديدة بين سنة ١٩٣٢م و ١٩٤٠م القاضية بالانتقال بالرأسمالية الأمريكية من الوضعية الليبرالية إلى الوضعية الموجهة وفعلاً فقد استعاد الاقتصاد الأمريكي انتعاشه واختفت مظاهر الأزمة لتنتشر التنمية بالبلاد ولتظهر قوة الولايات المتحدة من جديد.. وقد خَوَل هذا النجاح لفرانكلين روزفلت ثلاث فترات رئاسية متوالية إلى أن مات وهو في الرئاسة سنة ١٩٤٤م.. وهي أول سابقة في الرئاسات الأمريكية وقد أصبح للولايات المتحدة مركزًا كبير في

الخارج وتأثير قوي في القرارات الدولية.. وأصبحت تحل محل انجلترا وفرنسا في تدبير شؤون المستعمرات والعالم المتخلف ومواجهة المد الشيوعي . خاصة مع ظهور النفط في العالم الإسلامي والعربي على الخصوص أصبح للولايات المتحدة نفوذ أكثر من الجميع خاصةً إنجلترا صاحبة أول هيمنة عالمية.. وعلى الدول النفطية كإندونيسيا وإيران ومنطقة الخليج العربي.. كما تولت الولايات المتحدة احتواء الكيان الصهيوني الناشئ بفلسطين وعملت على تحويله إلى دولة يعترف بها المنتظم الدولي سنة ١٩٤٨م.

كما حلت الولايات المتحدة محل فرنسا في دول الهند الصينية ومحل اليابان في كوريا وعموم جنوب شرق آسيا.. وتولت الولايات المتحدة الإشراف على عصبة الأمم وتسييرها وأصبحت آلية جديدة من آليات النفوذ وتمرير القرارات المختلفة الخاصة بسياستها الخارجية وتطبيقها اعتمادًا على الدول الحليفة المشاركة في هذه العصبة.

ثقافة جديدة..

أما على المستويات الثقافية فقد شهد العالم الغربي بعد الحرب العالمية ظهور ثقافات جديدة متأثرة بالأجواء المختلفة التي خلقتها الحرب من جملة ذلك النزعة السريالية(أو ما فوق الواقع) التي انتهج أصحابها سبيلا يقضي بالبعد عن هذا الواقع بالنسبة للفنان والمثقف اللذان يختلفان عن السياسي والاقتصادي بروحيهما ونفسيتهما وفكرهما بحكم أن ذلك قد يؤدي بهما للهث وراء المنصب أو المادة بافتعال أكبر الحروب وارتكاب أبشع الجرائم.. وهكذا.... فصدر «البيان السريالي» لصاحبه «بريتون» ورفاقه كتأصيل للاتجاه.. ونبغ في هذا الاتجاه فلاسفة ومفكرون وفنانون وأدباء من أشهرهم «سلفادور دالي» و«لويس أراغون» .

كما نشطت الفلسفة الوجودية في هذه الفترة.. وكان من نوابغها «ألبيركامو» و«جون بول سارتر» و «سيمون دوبوفوار» و «هايدغر» وقد انتقلت هذه الأفكار إلى العالم العربي عبر المدرسة العلمية وأدب المهجر كما ظهرت على الساحة مدارس فنية بإبداعات جديدة كالمدرسة الانطباعية والمدرسة التكعيبية والتجريدية وشهد الفن السينمائي في الولايات المتحدة تطورا مذهلا على مستوى الصناعة والإخراج والإنتاج والأساليب فانتشرت أفلام «رعاة البقر» والأفلام البوليسية والخيال العلمي والحروب والدعاية والإشهار ولكنها تروج للنموذج الأمريكي.

تميزت تلك الفترة باكتشاف «البنسلين» من طرف الإنجليزي «ألكسندر فيلمينج» واختراع المجهر الإلكتروني وتطور علم الوراثة والجينات وعلم الإلكتورنيك وبوادر اختراع الكومبيوتر.

وكذلك شهدت الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين (١٩١٨-١٩٣٨) تطوير أهم المعدات القتالية التي عرفها الإنسان.. وكان لها دورها البارز في حسم نتائج الحرب الأولى.. وهو اختراع الطائرة.. حيث شهدت الطائرات المقاتلة تقدماً تقنياً.. وصناعياً كبيراً حيث يمكن حصر أبرز نقاط التطور في تخلص المقاتلات من البدن الخشبي المقوى بالقماش حيث حلّ محلها هيكل من المعدن أكثر قوة وصلابة وظهرت تحسينات عامة على القوة الدافعة لمحركاتها وظهرت أنظمة مبتكرة على المقاتلات من قبيل نظام تبريد درجة حرارة المحرك (الذي سوف يجد طريقه إلى طائرات الجيل التالي التي شاركت في الحرب العالمية الثانية) مما زاد من قدرة تحمل المحركات.

وبشكلٍ عام..

أصبح استبداد الأنظمة الحاكمة في أوروبا.. هو واقع الحكم بين الحربين.. وهو ما آلت إليه معظم دولها خاصةً كما قلنا « ألمانيا » و« إيطاليا ».. و« روسيا » كل ذلك وصل بشعوب تلك الدول وغيرها إلى درجة من القمع والاستبداد تتناقض تماماً مع تراث الليبرالية الذي ساد القارة قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى .





روميل
بورتريه خاص
جدًا !!

ولد «روميل» في الخامس عشر من شهر نوفمبر من العام ١٨٩١ في «هايدن هايبرج» وكان ترتيبه هو الثالث بين خمسة أبناء.. وكان والده يعمل مديرًا لإحدى المدارس.

وخلال نشأته تأثر إلى حد كبير بصناعة المناطيد في «بولستن» ورغب في الاشتغال بصناعتها إلا أن والده أرسله للالتحاق بالجيش.

ومع بلوغه الخامسة والعشرين من العمر كان قد رُقيَّ إلى رتبة ملازم.. وكان يدرب المجندين في سلاح المشاة في بلدة صغيرة في جنوب ألمانيا.

ذكاؤه العسكري المبكر

بشكل عام كان رجل أفعال لأقوال .. وبطبيعته تميز بوفرة أفكاره وبمرونة أشبه بمرونة الثعلب.. إلا أن مكر الثعلب لم يكن ينطبق بتاتاً على شخصيته.

روميل في الحرب العالمية الأولى!!

في شهر أغسطس من عام ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى فاشترك ضمن القوات الألمانية في معاركها.. وبعث «روميل» برسالة إلى شقيقته.. يصف فيها مشاعره.. وما يجول في خاطره.. ملمحاً لظروفه العسكرية الصعبة التي قد هرب منها الكثير.

إحباط مبكر

في أكتوبر من عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر كان يحارب عند جبهة «إسيولزو» في إيطاليا.. وكان وسام الاستحقاق أعلى الأوسمة الألمانية شرفاً.. قد خصص لمن يحتل جبل «متجوف».. فعقد «روميل» العزم على نيل ذلك الوسام.. فصَدَّرَ الرجال

وشن هجوماً شرساً حتى بلغ قمة «متجوف» لكن تم تقليد الوسام لرجل آخر.

عندها شعر «روميل» بأنه سُلِبَّ حقه في تلك الجائزة الثمينة فتقدم بشكوى إلى الجهات المختصة وانتظر أسابيع طويلة قبل أن تظهر النتيجة لصالحه.

إلا أن تخوفه من تكرار الموقف والتعرض للإهمال ظل يرافقه طوال حياته.. وقبل نهاية الحرب تزوج «روميل» من فتاة كان يعرفها سابقاً.. وبعد الهزيمة ومعاهدة «فيرساي» حُدد عدد الجيش الألماني بمائة ألف رجل.. فكانت تلك الفترة عصيبة عليه وعلى كل رجال الجيش الألماني.. فاختار الخدمة في حامية في إحدى المقاطعات.. بدلاً من توليه مهمة تدريب جهاز الأركان.



روميل.. وهتلر

اللقاء الأول

في الرابع عشر من سبتمبر في العام ١٩٣٤ حضر «هتلر» مهرجان الحصاد في بولست. وكان «روميل» وقتها هو قائد الحامية المعين.. فأخذ يقدم جنوده للفوهر« هتلر» وكانت تلك هي المرة الأولى التي يلتقي فيها الاثنان وجهاً.. لوجه.

وقتها لم يعره «هتلر» اهتماماً كافياً.. ولكنها كانت تلك عادته عند التقاءه بالآخرين.

أما روميل فقد كان شديد الإعجاب.. والتأثر بالنجاحات التي حققها «هتلر» في ألمانيا داخلياً.. وخارجياً أيضاً.. وكان يعتقد كآخرين أن غياب الديمقراطية.. والحكم الدكتاتوري المتسلط على رقاب الشعب الألماني بالرغم من كونه مسألة سلبية..

إلا أن ذلك ضرورة آنية مرتبطة بما تمر به البلاد من أوضاع عسكرية غير مستقرة.. وأنه غطاء مؤقت تعلوه سحب الإنجازات الكبيرة التي رافقت النظام.

وفي تلك الفترة لم يكن الجميع ومن بينهم روميل يدركون الحقيقة.. فقد كان «هتلر» حريصاً على أن يعطى لرجال جيشه انطباعاً أنه يدعم الجيش بكل قوته.. وكان روميل من بين المخدوعين بذلك.

ترقية روميل

بعد ذلك اللقاء صدرت أوامر هتلر بترقية «روميل» ليصبح محاضراً في علم

الحروب التكتيكي في المدرسة الحربية في «بورسلين» ووقتها نشر روميل كتاباً حول تجاربه في الحرب العالمية الأولى.. يتحدث عن قصة الهجوم على «متجوف» وأصبح هذا الكتاب وقتها هو أحد أشهر الكتب في البلاد.

وتوالت الترقيات

وبعدها نال «روميل» ترقية ثم أخرى.. حتى أصبح رئيس المدرسة العسكرية في «باينا نوشنال».. وكان وجه النظام النازي المخيف قد بدأ بالظهور هناك أيضاً.

روميل قائداً لمقر «هتلر» الرئيسي

وأثناء اجتياح «هتلر» تشيكوسلوفاكيا في مارس من عام١٩٣٩ أصدر أوامره بتعيين «روميل» قائداً لمقر قيادته الرئيسي.. وانتمى «روميل» إلى دائرة أقرب المقربين إلى «هتلر» في وقت كان فيه «هتلر» يخطط لشن حروب أخرى.

وعندما رحل روميل إلى مقر قيادة «هتلر» في نفس العام وكان حتى ذلك الحين لديه قناعة خاصة بأنه لن تحدث حروب عالمية أخرى .. كان يقول :

«طالما أن أبناء جيلي لا زالوا يذكرون أهوال الحرب العالمية الأولى.. يمكن التأكد بأنه لا يمكن أن تنشب حرب عالمية أخرى».

اللواء روميل

إلا أن «روميل» كان على خطأ.. ففي الأول من سبتمبر ١٩٣٩ صدرت أوامر «هتلر» بالهجوم على بولندا.. متزامنة مع قراره بترقية «روميل» الذى أصبح مسئولاً عن حمايته إلى رتبة تعادل «اللواء».

وفي حينه كتب روميل إلى زوجته قائلاً:

«ألازم الفوهرر معظم الأوقات حتى خلال الاجتماعات السرية.. إن هذه الثقة التي يوليني إياها تمنحني سعادة كبيرة.. تفوق سعادة رتبتي في الجيش.. فهو يقيم كل مساءٍ اجتماعاً مطولاً أشارك فيه.. وغالباً ما يسألني رأيي في المواضيع المطروحة.. وقد سمح لي ليلة أمس فقط بالجلوس إلى جانبه مباشرةً.. أخيراً أعيدت إلى الجنود قيمتهم ومكانتهم».

بين روميل.. وهتلر

وكما قلنا كان «روميل» يكن لقائده كل الاحترام والتقدير.. وكان «هتلر» بدوره يحب «روميل» لتواضعه وابتعاده عن الغطرسة التي تميز أركان الجيش.. ولكونه مختلفاً عن سائر الضباط.. فقد كان عصامي الثقافة.. ورجل أفعال أكثر منه رجل أقوال.

وفي إحدى المعارك سمحت لروميل الفرصة ليبرهن عن قدراته وتفوقه.. إبان غزو فرنسا.. فكما فعل في الحرب العالمية الأولى اجتاح البلاد واكتسح دفاعاتهم.. متقدماً جنوده بنفسه.





الفصل الأول

الحرب العالمية الثانية!!

نتحدث في هذا الفصل بإجمال وإيجاز في نفس الوقت عن كافة مراحل.. ومعارك.. وأحداث الحرب العالمية الثانية.. دون التوقف بشكل مباشر عند دور.. ومواقف روميل خلالها.. حتى نستطيع الإلمام بكافة جوانب الصورة.. ثم سنتحدث فيما سيلي هذا الفصل من فصولٍ أخرى بتركيز أكبر عن أدوار روميل.. وكيف أدار.. ودارت حوله ومن خلاله الأحداث.

البداية

نشأ في النمسا حزب نازي مؤيد لألمانيا وطالب هذا الحزب بإشراكه في الحكم فرُفِض طلبه.. مما دفع هتلر إلى التدخل واستدعى رئيس وزراء النمسا شوشينج shushing وطلب منه توحيد النمسا مع ألمانيا ومنح النازيين في النمسا مراكز عالية.. وقد وافق على ذلك ولكنه عاد ورفض هذه المطالب فأجبره هتلر على الاستقالة وسيطر الحزب النازي على الحكم في النمسا وأعلنت ألمانيا ضم النمسا إلى ألمانيا ١٩٣٨ وتم احتلالها بدون مقاومة وأعلن هتلر أن النمسا جزءًا لا يتجزأ من ألمانيا.. وهكذا بجرة قلم ضم هتلر النمسا إلى ألمانيا .

ولم تتدخل عصبة الأمم في ذلك بسبب عجزها واكتفت بريطانيا وفرنسا بتوجيه اللوم لألمانيا.. وهذا مثال واضح لسياسة الترضية التي اتبعتها هذه الدول تجاه ألمانيا التي كان ورائها رئيس وزراء بريطانيا « نيفيل تشمبرلن » وذلك بعد تعينه رئيساً للحكومة عام ١٩٣٧ وقد كان من كبار دعاة سياسة الترضية وبموافقته وبتأييده استطاع هتلر ضم عدة مناطق أخرى إلى ألمانيا.

فرنسا تعلن استسلامها

وفي الثامن عشر من يوليو من عام ١٩٤٠ أعلنت فرنسا استسلامها وجاء

«موسيليني» [1] إلى ميون.. وكان قد أعلن الحرب على فرنسا وانجلترا قبل أسبوع واحد فقط.. وأصبح الآن «موسيليني» ينتمي إلى صفوف الفريق الفائز.. ولكنه لم يكتف بهذا القدر.



(١) بينيتو موسوليني (٢٩ يوليو ١٨٨٣ - ٢٨ أبريل ١٩٤٥) هو حاكم إيطاليا ما بين ١٩٢٢ و١٩٤٣. كان في فترة حكمه رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية. وهو من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وأبرز زعمائها. سمي بـ«الدوتشي» أي القائد. دخل حزب العمال الوطني ولكنه خرج منه بسبب معارضة الحزب لدخول إيطاليا الحرب؛ عمل في تحرير صحيفة أفانتي (أي إلى الامام)ومن ثم أسس ما يعرف بوحدات الكفاح التي أصبحت النواة لحزبه الفاشي الذي وصل به الحكم بعد المسيرة التي خاضها من ميلانو في الشمال حتى روما في الوسط دخل الحرب العالمية الثانية مع دول المحور.. أعدم مع أعوانه السبعة عشر في ميدان « دونجو» بميلانو على يد الشعب الإيطالي عام ١٩٤٥.

الشرارات الأولى لاندلاع الحرب العالمية الثانية..

الحرب في الجبهة الغربية

غزو بولندا في أول من سبتمير عام ١٩٣٩ قامت ألمانيا بهجوم ساحق وخاطف على بولندا وتمكنت القوات الجوية الألمانية من تدمير غالبية طرق المواصلات والجسور والطائرات البولندية وهي في المطار.. وتقدم الألمان نحو دانتزيج بقواتها البحرية.. بينما توجهت الجيوش البرية نحو العاصمة وارسو وتم احتلالها..

رد فعل باقي دول أوربا إزاء هذا الهجوم:

١- بريطانيا:

قامت الحكومة البريطانية بتوجيه إنذار إلى وزارة الخارجية الألمانية يطالب بانسحاب الجيوش الألمانية فورًا من بولندا قبل الساعة الحادية عشر من صباح ٣ سبتمبر وإلا فإن الحرب قائمة بينها وبين ألمانيا.

٢- فرنسا:

قدمت إنذاراً مشابهاً بإنذار بريطانيا.

وكان الإنذاران بمثابة إعلان رسمي للحرب من قِبل كل من فرنسا وبريطانيا.. إلا أن الدولتين في نفس الوقت لم تقدما أي مساعدة لإيقاف احتلال ألمانيا لبولندا..

٣- الاتحاد السوفيتي:

تضامن الاتحاد السوفيتي مع ألمانيا.. وأعلن مولوتوف في ١٧ من نفس الشهر أن بولندا أزيلت من الخريطة السياسية.. وقام الجيش الروسي باحتلال المناطق

البولندية حسب معاهدة (مولوتوف- روبنتروب) وبذلك تم تقسيم بولندا بين ألمانيا وروسيا..

أسباب هزيمة بولندا أمام ألمانيا وروسيا:

١ - ضعف الجيش البولندي الذي اعتمد على معدات عسكرية قديمة..

٢- اعتمد الجيش الألماني على دبابات حديثة وطائرات متطورة..

٣-عدم تقديم بريطانيا وفرنسا المساعدة المطلوبة لبولندا..

٤-مساعدة الاتحاد السوفيتي لألمانيا في احتلال بولندا..

وبدأت عجلة الحرب في الدوران :

هتلر يهاجم السويد..

بعدها قام هتلر بالهجوم على السويد لقلقه من التوسعات الروسية في البلطيق (لتوانيا.. لاتفيا.. استونيا) وكذلك احتلال روسيا لفنلندا.. بجانب طمعه في ثروات السويد الطبيعية فهاجمت القوات الألمانية في ١ إبريل ١٩٤٠ النرويج وسيطرت عليها بواسطة الطابور الخامس وقد عينت ألمانيا حاكماً على النرويج موالياً لها وهو كويذلينج .

غزو بولندا..

برزت دولة «بولندا» في أوقات متفرقة عبر التاريخ الأوروبي لكنها لم تكن في أي مرة تحتل المكان ذاته الذي كانت تحتله سابقًا.. فانبعاث بولندا وفق شروط معاهدة «فارساي» عام تسعة عشر منحها ممرًّا بريًّا ضيقًا يربطها ببحر البلطيق ويتيح لها السيطرة على مينا «دانزج» الألماني القديم.. وقد قسم الممر البولندي «ألمانيا» إلى قسمين.. وقد أدت النزاعات بين البولنديين والألمان حول الممر البري إلى تزايد

حدة الانقسام بين الجانبين.. وبحلول عام ثلاثة وثلاثين طالب حزب النازي المحلي في «دانزج» بعد فوزه في الانتخابات البلدية بإعادة ضم المنطقة إلى «ألمانيا» وبحلول ربيع عام تسعة وثلاثين شعر «هتلر» بأنه قوي لدرجة يستطيع معها أن يطالب بإعادة «دانزج».. وبالحصول على حرية المرور على الطرق والسكك الحديدية إلى ميناء «دانزج» وشرقي روسيا البيضاء.. لكن عدالة المطالب الألمانية ضعفت لدى احتلال «بريطانيا» لبراج وتمزيق «تشيك سلوفاكيا» واعتبر البريطانيون والفرنسيون هذا خرقاً لاتفاقيات ميونخ فقدموا الضمانات لبولندا وحثوا «هتلر» على حل النزاع عن طريق المفاوضات .

لا لتقاسم بولندا..

وفي الثالث والعشرين من أغسطس تم توقيع معاهدة عدم اعتداء بين «ألمانيا» والاتحاد السوفيتي منحت الفرصة للسوفيت والألمان.. لا لتقاسم بولندا للمرة الرابعة في تاريخها فحسب لكنها تضمنت أيضًا اتفاقًا عامًّا حول تقسيم أوروبا من بحر البلطيق إلى البحر الأسود.

وبقيام الجيوش الألمانية بالاحتشاد على طول الحدود قررت «بريطانيا» فجأة تحويل ضماناتها لبولندا إلى تحالف رسمي مما جعل وقوع حرب أوروبية أمرًا لا مفر منه.. بدأ غزو «ألمانيا» لبولندا فجر اليوم الأول من سبتمبر عام تسعة وثلاثين وبينما كانت الجيوش الألمانية تجتاز الحدود بدأ سلاح الجو الألماني هجوما جويًا مدبرًا ضد الأهداف الاستراتيجية والمدنية في بولندا.. ومع أن الجيوش الألمانية والبولندية كانت متساوية في العدد تقريبًا إلا أن الاختلاف التقني والتعبوي بينهما كان هائلًا جدًّا..

فخلال العشرينات والثلاثينات طور الألمان نظرية الحرب الهجومية التي

اعتمدت على التحركات المدرعة السريعة المصحوبة بدعم جوي بينما كانت معظم قوات البولنديين المتحركة فرق فرسان ومدفعيتهم قديمة ومتناثرة.

كان تفوق الألمان كاملًا في الجو وأرسلوا ألفي طائرة فوق بولندا فطائرة «ميسر شميت مئة وتسعة» اعتبرت أفضل طائرة مقاتلة في العالم آنذاك.. وكان يمكن استعمال «ميسر شميت مئة وعشرة» ذات المحركين كطائرة مقاتلة أو كقاذفة قنابل بنفس الفاعلية.

أما الصافرات المركبة على طائرتي «جاندرز سبعة وثمانين» و «ستوكا» فقد زادت من فاعليتها كقاذفات انقضاض زيادة كبيرة فيما وفرته من قدرة على إرباك الخصم ودب الرعب بين القوات الزاحفة أو أفواج اللاجئين.

أما السلاح الجو البولندي فكان لديه نحو سبعمائة طائرة معظمها عفا عليها الزمن والباقي من نوع رديء.

وكان نظام القيادة والاتصالات رديئًا بصورة مزرية.. وفي الأيام القليلة الأولى من الهجوم الألماني قضى على سلاح الجو البولندي قضاءً تامًّا.. وكان غزو الألمان لبولندا حربًا متحركة فلم تتشكل جبهة لأكثر من بضع ساعات وكان الهجوم قد شن عبر الحدود الشمالية والغربية والجنوبية لبولندا وفي الغرب شقت الجيوش الألمانية طريقها في الجبهة البولندية في هجمات مركزة قوية شنتها مجموعات طلائع قواتها.. وكان الهدف تطويق القوات البولندية ومنعها من الانسحاب وإعادة التجمع .

قطع خطوط الاتصالات والتمويل..

وفي كل مكان وجهت الطائرات الألمانية ضرباتها دون هوادة قاطعة خطوط الاتصالات والتمويل وكانت قاذفات القنابل الألمانية تضرب المواقع قبل وصول الجيش إليها بدقة متناهية.. وفي الثامن من سبتمبر وصلت الوحدات الألمانية الأولى

إلى «وارسو» وفي اليوم التالي تجمعت بقايا جيشين بولنديين معًا حول «كوتنو» عند نهر «زورا» وبدأت هجومًا مضادًّا على الجيش الألماني الثامن فكانت المعارك حول «كوتنو» من أصعب المعارك التي جرت خلال الغزو الألماني لبولندا..

وفي اليوم السابع عشر من سبتمبر اكتملت عملية تطويق الجيوش البولندية وحوصرت مدينة «وارسو» ذاتها.. وفي ذلك اليوم شن الروس هجومهم من جهة الشرق.. وبعد يومين التقت الوحدات الألمانية الروسية المتقدمة معًا كشركاء عند نهر «بوج» وسط بولندا..

حصار وارسو..

وخلال حصار وارسو فإن المدافعين البولنديين عن المدينة واصلوا المقاومة حيث كانت آمالهم معلقة على نجاح الهجمات الفرنسية والبريطانية في الغرب..

وكان هذان البلدان قد أعلنا الحرب على «ألمانيا» في الثالث من سبتمبر..كما كانت هناك معاهدة عسكرية سرية بين البولنديين وفرنسا التزم الفرنسيون بموجبها بالقيام بهجوم شامل على «ألمانيا» بعد خمسة عشر يومًا من الحشد..وظن البولنديون أن مثل هذا الهجوم سيكون قريبًا..

وكان لدى الألمان علم بذلك.. فقرروا تدمير المدينة حتى تستسلم في وقت مبكر واستمر حصار وارسو حتى السابع والعشرين من سبتمبر فقط..وقتل حوالي أربعين ألفًا من الناس أو جرحوا خلال القصف..

سقوط وارسو..

ومع سقوط وارسو انهارت المقاومة ولم تستغرق عمليات التطهير التي قام بها الألمان إلا أيامًا قليلة وفي الوقت نفسه بدأ تنفيذ حملة من الانتقام فالعداوة بين البولنديين والألمان موجودة منذ قرون .. وفي سنوات ما بين الحربين تعرض الألمان

في بولندا للمضايقات والاضطهاد فكانت العقوبة التي أنزلها الألمان بالبولنديين على أفعالهم مجرد بداية لمحنة طويلة مريعة عانى منها البولنديين أولاً في ظل سيطرة الألمان ثم تحت سيطرة الروس فيما بعد .

وقد قضى الهجوم الألماني على المقاومة في بولندا في غضون شهر ولم يكن لدى بولندا دفاع فعال مقابل قوة الحرب الخاطفة الألمانية .. كما أن الفرنسيين فشلوا في بدء هجومهم الموعود واستعدوا عوضًا عن ذلك لحرب طويلة متوازنة على الجبهة الغربية .

وكان الفرنسيون واثقين من مناعة دفاعاتهم المحصنة ولم يكونوا مدركين أو مهتمين بأساليب الحرب التي طورها الألمان .. ولدى وصولهم إلى «فرنسا» كان البريطانيون أيضًا جاهلين بالحرب الحديثة .. وفي ربيع عام أربعين دفع الطرفان ثمن ذلك غاليًا .

ثم .. فرنسا ..

بعد ذلك قرر هتلر مهاجمة فرنسا التي طلبت المساعدة من بريطانيا .. فأرسلت بريطانيا الى سواحل فرنسا من جهة الشمال ٣٥٠ ألف جندي بريطاني وتم تركيزهم في دانكرك .. وورد هتلر بمهاجمة الجيش البريطاني هناك .

حصار دانكرك ..

وعندما استشعر « وينستون تشرشل » عدم قدرته العسكرية على مواجهة الألمان .. أصدر أوامره بسحب قواته العسكرية من هناك .. وعودتها على الفور إلى الأراضي البريطانية عبر قناة المانش .. وعرفت هذه العمليه بأعجوبة أو حصار دانكرك .

وقد تركت بريطانيا ورائها الكثير من المعدات الحربية والآليات اغتنمها الجيش الألماني بكل سهولة.

احتلال فرنسا ١٤ يونيو ١٩٤٠.. وتدمير خط ماجينو..

بعد انسحاب الجيش البريطاني من دانكرك.. أعاد الألمان حشد قواتهم لمهاجمة الجبهة الفرنسية على السوم..

فهاجمت القوات الألمانية فرنسا من جهه الشمال.. ولم يستطع الجيش الفرنسي الصمود أمام القوات الألمانية التي أخذت بالتوجه نحو العاصمة باريس.. بعدها تمكن الألمان من تدمير خط ماجينو الذي عرف بقوة استحكاماته..

سقوط باريس.. وهروب الحكومة الفرنسية..

فقامت الحكومة الفرنسية بالهرب ونقلت مقرها إلى بوردو في الجنوب.. وسقطت باريس في أيدي الألمان وقامت حكومة فرنسية جديدة في جنوب فرنسا موالية للألمان تدعى حكومة فيشي برئاسة العجوز بيتان الذي كان بطل فرنسا في الحرب العالمية الأولى.. ولكنه خانها في الحرب العالمية الثانية .

أسباب سقوط فرنسا:

نستطيع أن نجمل بدايةً أسباب سقوط فرنسا بقبضة الألمان في الأسباب التالية :

١- قوة الجيش الألماني خاصة سلاح الطيران والمدفعية فلم تستطع القوات الفرنسية الصمود أمام الهجوم الألماني المكثف .

٢- سقوط حصن ماجينو بسرعة فائقة..

٣-عدم اندفاع الشعب الفرنسي للدفاع عن أرض فرنسا وعدم استجابته للتطوع العسكري.

٤- فضل الكثير من الفرنسيين عدم الاشتراك في الحرب بسبب الدمار والحرب والأهوال التي حدثت في الحرب العالمية الأولى..

٥- ضعف الحكومة الفرنسية...حيث كانت مفككة ولم يكن لها زعماء مخلصين أي لم تكن قيادتها موحدة كما هو الحال في ألمانيا..

٦-انسحاب الجيش البريطاني من دانكرك..



معركة بريطانيا ١٩٤٠

اعتقد هتلر أن بريطانيا لن تدخل في حرب معه خاصةً بعد سقوط فرنسا ومعظم دول أوروبا الغربية.. وكان الاتحاد السوفيتي متفقاً مع ألمانيا وفي نفس الوقت لم تكن الولايات المتحده قد تدخلت في أوروبا.. وحاول هتلر إقناع الإنجليز بعدم دخول الحرب والاستسلام.. ولكن الوضع الداخلي في بريطانيا كان بعكس ما كان يتوقع.. ويتمنى هتلر.. فكانت الجبهة الداخلية صامدة وذلك بفضل حسن إدارة «وينستون تشرشل » رئيس الحكومة البريطانية للأمور الداخلية.. فقد أقبل المواطنون البريطانيون على التطوع بعكس الفرنسيين.. وبدأت الاستعدادات لمواجهة الهجوم الألماني.

هتلر يهاجم بريطانيا..

بدأ هتلر هجومه على بريطانيا بقصف المطارات والموانئ والمراكز الصناعية والمدن الكبرى.. وسبب هذا الهجوم الكاسح خسائر فادحة للإنجليز خاصة من النواحي الاقتصادية.. وأصبح بإمكان الجيش الألماني السيطرة على بريطانبا.. لكن هتلر كان قد توصل لقناعة مبدئية مفادها أنه لا يستطيع القضاء على بريطانيا.. واكتفى بفرض الحصار الاقتصادي عليها.

أسباب فشل الهجوم الألماني:

١ - عدم انتقال الجيش الألماني إلى الأراضي البريطانية والاكتفاء بالهجوم الجوي .

٢ - انشغال الجيش الألماني بتثبيت أقدامه على البلاد التي احتلها..

٣- عدم استطاعة الألمان تحطيم سلاح الطيران البريطاني..

٤ - كانت المعارك فوق سماء بريطانيا وكانت حركه تموين الطائرات البريطانية أسرع من حركة تموين الطائرات الألمانية..

٥ -صمود الجبهة الداخلية في بريطانيا (شعبًا وحكومة)..

اعتبرت معركة بريطانيا من أهم أحداث الحرب الثانية للأسباب التالية :

١ - فشل « هتلر » في كسر شوكة بريطانيا..

٢- الخسائر الكبيرة التي خسرها الألمان في تلك الجولة من المعركة.

٣- عدم حسم الحرب لصالح هتلر..

٤ -غيرت هذه المعركة مجرى الحرب..

الهجوم على الاتحاد السوفيتي في يونيو١٩٤١

لم يدم شهر العسل بين هتلر والاتحاد السوفيتي طويلاً .. كما لم تستطع معاهدة (روبنتروب مولوتوف) أن تنهي التناقض بين النازية والشيوعية.. لذا فقد قرر هتلر الهجوم على الاتحاد السوفيتي في ٢٢ يونيو ١٩٤١ وقد بدأ الهجوم بثلاثة ملايين جندي و ٦٠٠ ألف قطعة حربية في خطة عسكرية عرفت باسم « خطة بربروسا»..

أسباب هذا الهجوم :

١ - الكراهية والتناقض بين الشيوعية والنازية.. وهذا ظهر في مبادئ النازية .

٢- اتهام هتلر لستالين بالدعاية ضد النازية في داخل المانيا..

٣- طلب هتلر من ستالين مساعده ألمانيا في الحرب لكن ستالين رفض..

٤- تخوف ألمانيا من امتداد السيطرة الشيوعية إلى دول البلقان والأراضي الشرقية حيث النفوذ الألماني..

٥-عدم قبول هتلر وجود أي قوة تنافسه وتهدد وجوده في أوروبا.. لجعل بريطانيا تستسلم بعد تحطيم روسيا..

٦- رغبة هتلر في السيطرة على حقول القمح في أوكرانيا وعلى النفط في شبه جزيرة القرم .



سير المعارك في الجبهة الشرقية (روسيا)

أعلنت بريطانيا تأييدها للاتحاد السوفيتي حيث أعلن تشرشل بأنه رغم عدائه للشيوعية سيقف مع كل دولة ضد ألمانيا.. كما أعلن الرئيس الأمريكي روزفلت تأييده للشعب السوفيتي ضد الغزو الألماني..

وبدأ الهجوم الألماني حيث تم محاصرة لينتجراد في ٣٠ مايو ١٩٤١ واستمر الحصار سنتين وقتل أثناء الحصار ٩٠٠ ألف ألماني من أصل ٣ ملايين بسبب الدفاع والمجاعة التي انتشرت أثناء الحصار في معركة موسكو.. استخدم الروس طريقة الأراضي المحروقة.. وفي هذه المعركة واجه الروس تقدم الجيش الألماني ببسالة فائقة.. وخسرت روسيا في هذه الحرب حوالي ٢٠ مليون فرد.

بعد معركة موسكو تابع الجيش الألماني هجومه.. وتجدد الهجوم من الشمال والجنوب ولكن القائد الروسي جوكوف تمكن من إيقاف الهجوم الألماني..

وكان لنشاط الروس والمناخ الروسي الدور الكبير.. فقد شل حركة الجيش الألماني..

حدثت عدَة معارك أخرى مثل معركة أوكرانيا (للحصول على حقول القمح) وشبه جزيرة القرم (للحصول على البترول).

أمَا المعركة الفاصلة في روسيا فكانت هي معركة ستالنجراد التي حددت مصير الحرب العالمية الثانية.. وجرت أحداثها بعد تقدم القوات الألمانية داخل الأراضي الروسية وتوجههم نحو ستالنجراد وتم محاصرتها واحتلال أجزاء منها.. وحدث فيها معارك شديدة حتى أنه في بعض الأحيان كانت المعارك تدور بالسلاح الأبيض

من بيتٍ إلى بيت ومن شارع إلى شارع.. قاموا بمعارك ضارية جداً واستمرت المعارك ٣ أشهر وفيها تم القضاء على معظم الجيش الألماني وهذا أدى إلى تراجع الألمان ووقع في الأسر أكثر من مئة ألف جندي ألماني..

ماذا تعني هذه المعركة؟

١ - أصبحت هذه المعركة رمزًا للإرادة الروسية الصلبة من أجل إنقاذ الوطن.. أما بالنسبة للألمان فكانت المعركة ترمز إلى نهاية وتحطيم حلمهم بالاستيلاء على روسيا وخاصة حقول القمح والبترول..

٢ - أدت المعركة إلى تحويل مجرى الحرب لصالح الروس في الجبهة الشرقية..

٣- انهيار النظرية التي تقول أن الجيش الألماني بأنه قوة لا تقهر..



دور الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية..

حتى سنه ١٩٤١ التزمت الولايات المتحدة بالحياد.. وكان يترأسها في هذه الفترة الرئيس دلانو روزفلت الذي تم انتخابه ٤ مرات متتالية كان مصاباً بشلل نصفي وتوفي سنه ١٩٥٤.

أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب:

١- طلب الدول الأوروبية المساعدة من الولايات المتحدة بسبب اعتداء الألمان المستمر على السكان المدنيين..

٢ -عدم احترام هتلر للمواثيق الدولية واحتلاله تشيكوسلوفاكيا ودول محايدة..

٣ -طالب روزفلت ، لهتلر بإيقاف التوسع الألماني ولكن جاء رد هتلر عنيفاً وساخراً ورافضاً..

٤ -تخوف أمريكا من السيطرة والهيمنة الألمانية في العالم..

٥ – مال الرأي العام الأمريكي إلى مساعدة دول الحلفاء..

٦ -الميثاق الأطلسي وهو وثيقة وقعت بين روزفلت الرئيس الأمريكي وتشرشل رئيس حكومة بريطانيا في أغسطس ١٩٤١..

٧ -تخوف الولايات المتحدة من ازدياد التوسع الياباني في الشرق الأقصى وقد قامت الولايات المتحدة بتجميد الأموال اليابانية في الولايات المتحدة وإيقاف التبادل التجاري معها..

٨ - وهناك أسباب أيدلوجية تكمن وراء دخول الولايات المتحدة الحرب ربما كان أهمها هو إنقاذ الأنظمة الديكتاتورية الموالية لها.

٩ -السبب المباشر: هجوم اليابان في ٧ يناير الذي وافق يوم أحد.. وهو يوم العطلة الرسمية للأسطول الأمريكي.. حيث فوجئ الأسطول الأمريكي بهجوم مفاجيء من الطائرات اليابانية على القاعدة الأمريكية في بيرل هاربر (ميناء اللؤلؤ) وتم تدمير ١٠٨ طائرة و ١٨ سفينه و٣ آلاف ملاح أمريكي.. وفي اليوم نفسه أعلنت الولايات المتحدة الحرب على اليابان وفي اليوم التالي أعلنت الحرب على ألمانيا وكما أعلنت بريطانيا الحرب على اليابان في نفس التوقيت وبعدها بيومين أعلنت ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة .

الدور الأمريكي في هذه الحرب:

١ -تقديم الأسلحة للحلفاء من مؤن.. عتاد.. قطع غيار طيارين حتى يهاجموا الهجوم الجويَ الألماني..

٢ -تزويد الحلفاء بضباط عسكريين أمريكيين وقيادات عسكرية جديدة مثل أيزن هاور وماك آرثور.

٣ -محاربة اليابان في الشرق الأقصى.

٤ -عدم التعاون مع دول المحور.

٥- تشديد الحصار الاقتصادي على ألمانيا.

وعمومًا تميز الدور الأمريكي بمرحلتين:

-المرحلة الأولى: هو دور الهزائم الأمريكية والبريطانية على أيدي الجيش الياباني حيث تمكن اليابان من احتلال معظم الجزر في المحيط الهادي.. مثل: أندونسيا

هونج كونج.. بورما.. واحتلت اليابان الفلبين وهي مستعمرة أمريكية..

كانت لهذه الهزائم أهمية كبيرة حيث انهارت النظريات الاستعمارية والمعنويات الغربية.. وأنشأ إمبراطورية يابانية تظم ٤٠٠ مليون نسمة.

- المرحلة الثانية: تتمثل في توقف التوسع الياباني حيث وقعت عدة هزائم في الجيش الياباني في المحيط الهادي.. وأول هذه المعارك معركة بحرية تدعى معركة « بحر المرجان» سنة ١٩٤٢ وكان للاستخبارات الأمريكية والقوة البحرية دورًا كبيرًا في إحراز الانتصارات على الجيش الياباني.

وكان النصر الأمريكي في معركة «ميدوي» سنة ١٩٤٢.. بداية خسارة اليابان عنصر المباغتة التي كانت تعتمد عليها في كشف الاستخبارات للعمليات العسكرية وتعتبر معركة ميدوي من المعارك الهامة الفاصلة في البحر بين الأسطولين الأمريكي والياباني.. وتوالت الهزائم اليابانية في مناطق عديدة بالشرق الأقصى والمحيط الهادي..

وهنا يبرز دور القائد الأمريكي ماك آرثور الذي تلقى المساعدة من الجنود الاستراليين للقضاء على القوه اليابانية بعد معارك شديدة أو استمرت أكثر من ستة شهور خسرت فيها اليابان الكثير من قواتها الجويّة والبرية والبحرية..

الألغام

استخدمت الألغام في البر والبحر وانقسمت الألغام الأرضية عادة إلى صنفين ألغام مضادة للأفراد وألغام مضادة للدبابات.. وقد استخدم كلا الصنفين لأغراض الدفاع أو لعرقلة ملاحقة الخصم لقوة منسحبة.

وبينما احتوت الألغام المضادة للأفراد على كمية قليلة من المواد المتفجرة احتوت

الألغام المضادة للدبابات على كمية أكبر.. وكانت مصممة بحيث تنفجر بمستوى ضغط أعلى مما هو مطلوب لتفجير اللغم المضاد للأفراد.

وتم تطوير أجهزة كشف الألغام وعربات خاصة لإزالة حقول الألغام واستخدمت هذه العربات بكثافة أثناء إنزال الحلفاء في نورماندي.

وانقسمت الألغام البحرية كذلك إلى صنفين: ألغام تنفجر بالاحتكاك.. وألغام تنفجر بالتأثير..

وكانت الألغام تربط بقاع البحر وتطفو تحت السطح بقليل وتنفجر لدى احتكاكها بجسم السفينة..

أما الألغام التي تنفجر بالتأثير فكان يتم تفجيرها بواسطة التشويشات المغناطيسية أو الضغط والضجيج..

وتم استخدام عدة وسائل لإزالة الألغام بما فيها أجهزة تصدر الضجيج وأجهزة مغناطيس كهربائية قوية إلا أن أكثر الطرق انتشارًا وفاعليةً كانت مد سلك داخل الماء يعمل كالسكين ويقطع الحبال التي تثبت الألغام في قاع البحر.. وبعد فصل الألغام عن حبالها تطفو إلى السطح حيث يسهل تدميرها.

رجال آخرون هتلر وروميل :

وفي تلك الأثناء برز اسم الألماني «وولتر مودل» خاصةً في الحملات العسكرية الأولى في «بولندا» و «فرنسا» نظرًا لنشاطه وقوة شخصيته.. لكنه لم يكتسب شهرته كقائد ميداني إلا على الجبهة الشرقية عندما قاد الجيش التاسع الألماني في معارك ضارية خارج موسكو في شتاء عام اثنين وأربعين..

وبقي «مودل» على الجبهة الشرقية معظم فترات الحرب حيث أكسبه إخلاصه

لبلاده احترام «هتلر» له فكان ينقله من جبهة إلى أخرى لمواجهة هجمات الروس المتزايدة.

وفي عام أربعة وأربعين نقل «هتلر» «مودل» إلى الجبهة الغربية حيث أُسنِدَّ إليه قيادة وحدة الجيش الألماني الثانية.. ثم سحب القوات الألمانية الكامل من «فرنسا» و «بلجيكا».

وفي مدينة «أرن هاين» حقق «مودل» النصر الألماني الأخير في الحرب مخترقًا تحصينات رؤوس جسور الحلفاء وساعد على استقرار الجبهة على طول الضفة الشمالية لنهر الراين.

وفي أعقاب عبور الحلفاء لنهر الراين عام خمسة وأربعين وجد «مودل» نفسه مُطوقًا في منطقة «الرور» وبدلًا من مواجهة عار الاستسلام حلّ «مودل» جيوشه وانتحر.

وفي تلك الحرب برز أيضًا اسم «فيرنر مولدرز» كواحدٍ من أفضل طياري الحرب.. حيث أسقط أكثر من مئة طائرة للحلفاء وبقيادته أسراب المقاتلات فوق «فرنسا» وفي معركة «بريطانيا» برز «مولدرز» كمخطط جوي بارع حيث طور تشكيل الأربعة أصابع ذلك التشكيل الذي تبناه فيما بعد سلاح الجو البريطاني.

وفي عام واحد وأربعين أرسل «مولدرز» إلى الجبهة الشرقية كمفتش على المقاتلات.. وقتل «مولدرز» في حادث تحطم طائرة في تشرين الثاني نوفمبر عام واحد وأربعين..



معركة «موسكو»

عقب تطوير الجيوش الروسية في «أوكرانيا» وعزل «لينن جراد» في سبتمبر عام واحد وأربعين استدعيت معظم القوات المدرعة الألمانية وأعيد نشرها على امتداد وسط الجبهة.

أما التقدم الألماني نحو «موسكو» فقد تم تأجيله لستة أسابيع ليُستأنف في الثاني من أكتوبر.. وبدأ الجيش المدرع الألماني الثاني بالهجوم باختراق الخطوط السوفيتية الضعيفة جنوب مدينة «بريانسك».

وبينما اندفع القائد الألماني «جوندريان» في عمق الخطوط الخلفية السوفيتية بدأت الوحدتان المدرعتان الثالثة والرابعة بالتقدم في محاور متوازية على جانبي الطريق بين مدينتي «سمولنسك» و «موسكو».

وفي الثالث من أكتوبر دخلت طلائع الجيش الألماني المدرع الثاني مدينة «أوريل» ثم مدينة «بريانسك» مهددةً بتطويق ثلاثة جيوش سوفيتية وفي اليوم التالي التقت الوحدتان المدرعتان الثالثة والرابعة خارج «يازما» حيث عزلتا خمسة جيوش سوفيتية في مؤخرتها.. وأطبقت الكماشة المدرعة لوحدة جيش الوسط الألماني بقبضة فولاذية على معظم القوات السوفيتية غرب موسكو.

وفي الوقت الذي بدأ فيه المشاة الألمان بتصفية القوات المحاصرة في جنوب «بريانسك» و «بزما» بدأت أمطار الخريف بالسقوط على غرب «روسيا» ففاضت الأنهار وتحولت الحقول إلى مستنقعات وأصبحت الطرق الروسية غير المرصوفة عبارةً عن مستنقعات بدائية.

ثم تحول الاندفاع الألماني إلى زحف بطيء بسبب عرقلة تقدم الألمان من قِبل جيوب معزولة من المقاومة الشديدة وبسبب أعباء أسر.. ونقل حوالي سبعمائة ألف جندي روسي.. ونظرًا لانتشار الطين.. توقف الألمان نهائيًا في أوائل نوفمبر على بعد خمسة وستين كيلو مترًا فقط من العاصمة السوفيتية.

الصقيع القاتل..

ثم اجتاحت موجة الصقيع الأولى روسيا في نوفمبر وأدت إلى جعل الأرض صلبة فأعطت الألمان آخر فرصة للاستيلاء على العاصمة قبل أن يغلق الشتاء الجبهة بإحكام..

وأعد الألمان هجومهم فأحضروا الإمدادات والتعزيزات ونشروا مدرعاتهم وصقلوا خططهم.. وأسر الألمان ثلاثة ملايين جندي روسي.. وجرح عدد لا حصر له من الناس ووقعت مستودعات روسية ضخمة للمعدات في أيدي الألمان..

وعندما اندفعت الجيوش الألمانية المدرعة عبر الأرض المتجمدة خارج «موسكو» في منتصف نوفمبر بدا أن الحرب في روسيا قد أوشكت على الانتهاء.

ووفقًا لكل حسابات «هتلر» وقادته العسكريين فإن «ستالين» لم يتبقَّ لديه أية جيوش.. وبحلول نهاية الشهر كان قد تم تطويق موسكو على بعد ثلاثين كيلو مترًا من «الكريملن».

وحينما حل الشتاء في روسيا في الأسابيع الأخيرة من تلك السنة جاء بقسوة غير معهودة وفي درجة حرارة بلغت أربعين درجة مئوية تحت الصفر.. فاختل التقدم الألماني قبل أن يتوقف تماماً.. وتجمدت المحركات ولم تعد الرشاشات تطلق النيران.. وعندما كانت تفعل ذلك كان أداؤها غريبًا.. وفي البرد القارص سقط جندي المشاة الألماني غير المجهز لمواجهة شتاء قاسٍ فريسةً للصقيع والإنهاك وهبوط

درجة الحرارة.

وحينما صَعَّدَ الألمان آخر جهودهم المضطربة والعقيمة لإغلاق مصيدتهم المتجمدة على موسكو شن الروس الهجوم المضاد على جبهة طولها حوالي ألف كيلو متر بمشاركة ما يقرب مليون جندي نشط من بينهم أربعين فرقة من سيبيريا مجهزة خصيصًا لحرب الشتاء..

معارك غير مسبوقة

وفاقت معارك ديسمبر عام واحد وأربعين في ضراوتها ووحشيتها أي معارك خاضها أي من الجانبين.. ولم تكن الجيوش الروسية خارج موسكو أفضل تجهيزًا فحسب.. بل كانت لديها قيادة أكثر احترافًا وتصميمًا.. إذ تم الآن استبدال الانتماء للحزب الشيوعي الذي كان المعيار الأساسي للترقية في الجيش الأحمر بمعيار الإخلاص للوطن والكفاءة والمقدرة.

كان الهدف السوفيتي هو اختراق الخطوط الألمانية المتقدمة على جانبي موسكو وقد تميزت الخطة بالاستفادة من قوة السوفيت وخبرتهم في حرب الشتاء وتفوقهم في المعدات.. وفوجئ الألمان بالهجوم فارتدوا إلى الخلف بارتباك.

وفي الأيام الأولى من الهجوم الروسي المضاد تم اختراق الخطوط الألمانية بكثافة على امتداد الجبهة.. وانقطعت الاتصالات الألمانية وهجرت القوات معداتها الثقيلة التي شلت حركتها بسبب البرد القارص.

وفي مواجهة مثل هذا الهجوم المضاد غير المتوقع نصح قادة الميدان الألمان بانسحاب عام نحو خطوط إمداد واتصالات أقصر.. غير أن «هتلر» أدرك أن الخروج من «موسكو» سيكون معناه هزيمة عسكرية واضحة وضربة قاصمة للمعنويات.

ومن أجل سحق «روسيا» وبالتالي ضمان الحدود الشرقية طالب «هتلر» بضرورة صمود قواته مهما كلفه الأمر وبأن تكون جيوشه مستعدةً لشن هجوم جديد في الربيع.

وفي نهاية ديسمبر كان الروس قد دحروا الألمان إلى بُعد ثمانين كيلو مترًا عن «موسكو».. ولاعتقاده بأن الجيوش الألمانية قد دبت فيها الفوضى طالب «ستالين» بشن هجوم جديد على كل الجبهات على أن يبدأ في الأسبوع الأول من عام اثنين وأربعين.. وبدأت الهجمات أول أيام السنة الجديدة عبر جبهة جليدية طولها ألف وستمائة كيلو متر واستمرت لبقية ذلك الشتاء القاسي.

التجويع عمدًا

واجه الألمان في كل قطاع من الجبهة الشرقية ظاهرةً جديدةً وغريبةً إذ انقض المقاتلون الروس الذي تم تجويعهم عمدًا ولم يزودوا بالطعام فوق حقول الألغام والتحصينات غير آبهين بالخطر وهمهم الوحيد هو الاستيلاء على إمدادات الطعام الألمانية.. ومرة تلو أخرى قام الروس باختراقات عميقة في الخطوط الألمانية على جانبي «ديمانسك» وحول «ديازما» وفي الجنوب حول مدينة «خاركوف»..

ديماس.. معارك شرسة

وطوال شهر يناير احتدمت معارك شرسة على طول الجبهة في «ديماس» حيث تم عزل وتطويق حوالي مئة ألف جندي ألماني.. إلا أن الروس في كل المواقع افتقروا إلى الموارد اللازمة لمواصلة هجومهم وفي عمق «ديمانسك» لم تظهر المقاومة الألمانية أي إشارة على التراخي وبقيت «ديازما» في أيدي الألمان.. وفي «رجييف» هددت الهجمات الألمانية المضادة بتطويق القوات الروسية وحول «خاركوف» أضحت القوات السوفيتية عاجزةً عن التقدم وسط قتالٍ ضارٍ.

وخلال مارس وإبريل خاض الألمان معركة دفاعيةً شديدةً وسيطروا على خط الجبهة في نقاطه الاستراتيجية الأكثر أهمية.

ولما كانت الثغرات الروسية في الخطوط الألمانية مغلقة والجبهة الألمانية قد استعادت تماسكها واستقرارها فقد تمكن الألمان من عزل جيوش سوفيتية بأكملها.

وفي الأسبوع الأخير من شهر أبريل عام اثنين وأربعين تم نجدة القوات الألمانية في عمق «ديمانسك» حيث زودت بالإمدادات من الجو طوال فترة الشتاء.

وفي الجنوب وكعامل مساعد تقريبًا لمعارك «موسكو» شن الألمان هجومًا مضادًّا على القوات السوفيتية التي كانت تهدد «خاركوف» حيث اخترقوا المواقع المتقدمة وقتلوا أو أسروا ما يزيد على ربع مليون جندي روسي..

وهكذا شهد ربيع عام اثنين وأربعين سيطرة الجيوش الألمانية على خط الجبهة الذي وإن كان قد تعرض لضربات شديدة إلا أنه ظل قائمًا.. وفي المعارك الضارية للشتاء الأول في «روسيا» كانت القوات الألمانية قد عانت من ضربة مؤلمة جدًّا حيث فقد الألمان مليون جندي في السنة الأولى من غزو «روسيا».. ومع احتمال انتصار سريع في الشرق الذي كان يشهد انحصارًا كبيرًا لسيطرة الألمان في الشهور المتبقية من عام اثنين وأربعين وتحولت عيون «هتلر» إلى حقول النفط في «القوقاز» وإلى مدن «الدونباز» و «الفولجا» الصناعية..

فإذا تمكنت «ألمانيا» من الاستيلاء على حقول النفط الروسية فسيكون بمقدورها حينئذٍ خنق المجهود الحربي الروسي وتحقيق انتصار في «روسيا» بعد أن انتهت معركة «موسكو» في غير صالحها.

معركة «نورماندي»

حققت عملية إنزال قوات الحلفاء على شاطئ «نورماندي» في السادس من

يونيو عام أربعة وأربعين توقعات «هتلر» الذي سعى كثيرًا لتجنبها.. ألا وهي الحرب على جبهتين شرقية وغربية في نفس الوقت.. ومع أن نزول الحلفاء على البر الأوروبي كان متوقعًا منذ مدة إلا أن عمليات الإنزال الأولى فاجأت الألمان من حيث توقيتها ومكانها.. إذ كان الاعتقاد السائد عندهم هو أن الساحل «كاديكاليه» سيكون هدفًا لهجوم الحلفاء فقاموا بتقويته على حساب قطاع «نورماندي» ونشروا فرقًا مدرعة بعيدًا بحيث لم يستطيعوا جلبها في المشاركة في اليوم الأول من المعركة.

ولم يستطع الجيش الألماني السابع الضعيف نسبيًّا منع قوات الحلفاء من تعزيز رؤوس الجسور التي أقاموها مما أتاح لهم الاستمرار في إنزال الجنود والمعدات وتشكيل جيش قوي في «نورماندي» وفي اليوم الأول هبط على الشاطئ مئة وخمسون ألف جندي وفي الأسابيع التالية انضم إليهم نحو مليونًا جندي آخرين..

لقد برهن الغطاء الجوي للحلفاء خلال المرحلة الأولى للغزو بأنه عصي على الاختراق من قبل السلاح الجو الألماني الذي كانت غارات الحلفاء قد قضت على الجزء الأكبر منه خلال الربيع ولم يعد بمقدوره حتى الدفاع عن نفسه.. وفي «فرنسا».. وعندما وجد الألمان أنه من غير الممكن تحريك الجنود والإمدادات أثناء النهار..

ونظرًا لأن الإمدادات كانت تصل للقوات الألمانية بكميات قليلة فقد أخذت هذه القوات تلقي بمدرعاتها الاحتياطية إلى المعركة التي تحولت تدريجيًّا إلى معركة دفاعية.

وفي الثاني عشر من يونيو كانت الأماكن التي نزل فيها الحلفاء قد توصلت مع بعضها وتحولت إلى منطقة واحدة بطول حوالي مائة كيلو متر وبعمق حوالي عشرين كيلو مترًا في بعض الأماكن.. وفي القطاع الشرقي من الجبهة استمر القتال الشديد

حول مدينة «كاين» وصد الألمان بثبات الهجمات التي تشنها الوحدات البريطانية والكندية والبولندية.

وكانت الأولية عند الألمان احتواء قوات الحلفاء في منطقة مستنقعات.. حيث الأرض والتضاريس ملائمة للدفاع.. وفيما استمر البريطانيون في تثبيت قوات الاحتياط والمدرعات الألمانية حول «كاين» بدأ الأمريكيون يزحفون عبر نهر «مريدري» وشبه جزيرة «كونتنتين» إلى الغرب.



الجيش الأمريكي يدخل «برانفين»..

وفي الثامن عشر من شهر يونيو كان الأمريكيون قد وصلوا إلى «برانفين» وعزلوا ميناء «شاربورج» على القنال الإنجليزي.. وفي الثاني والعشرين من نفس الشهر بدأت معركة «شاربورج» حيث كان «هتلر» قد أمر الحامية الألمانية المؤلفة من ستة عشر ألف جندي أن تحتفظ بالميناء مهما كلف الأمر.

الاستيلاء على ميناء شاربورج

كان الاستيلاء على الميناء قد أصبح أمرًا في غاية الأهمية بالنسبة للحلفاء.. إذ هبت عاصفة اجتاحت مناطق الإنزال إلى الشرق ملحقة أضرارًا شديدة بميناءين صناعيين ومتسببة في تعطيل عمليات نقل الجنود والمعدات إلى فرنسا.. وهكذا أصبح منشآت الميناء في «شاربورج» ضرورة ملحة إذا ما أراد الحلفاء الإبقاء على قوة اندفاعهم في «نورماندي».

وعلى كل حال فقد كان المدافعون الألمان يعانون من نقص شديد في المعدات والذخيرة بالإضافة إلى أن الحلفاء استخدموا ثلاث فرق كاملة في الهجوم على «شاربورج» فقد راحوا يقصفونها من البر والبحر والجو فتم لهم بالتدريج التغلب على المدافعين الألمان.

تدمير الميناء

ومع أن الحلفاء انتصروا هنا إلا أنهم حرموا من استخدام ميناء «شاربورج» لأسابيع عديدة فعندما شعر الألمان بأنهم مهزومون لا محالة عمدوا إلى تدمير الميناء بشكل منظم وشامل.. وهدموا جميع منشآته وأغرقوا السفن لسده فاستغرق الأمر

من الحلفاء حتى شهر سبتمبر قبل أن يعيدوا الميناء إلى العمل.. وحول مدينة «كاين» استمرت المعركة بدون توقف.. وكانت تقف ثماني فرق ألمانية من الدبابات وهي كل ما لدى الجيوش الألمانية من قوة مدرعة في «نورماندي».. وفي الغرب تقدم الأمريكيون في مواجهة مقاومة ألمانية ضعيفة حيث استولوا على «سانت لو» لتكون نقطة انطلاق يستطيعون منها الاندفاع نحو الجنوب..

وسبق الهجوم الأمريكي غارات على نطاق واسع بامتداد الخطوط الألمانية شاركت فيها أكثر من ثلاثة آلاف طائرة..أما ما تبقى من الجيش السابع الألماني التي كانت تقف في خط غير ثابت عبر طريق «سانت لو بيرييه» فقد أبيدت بواسطة أكثر من خمسة آلاف طن من المواد شديدة الانفجار وقنابل النابالم الحارقة.

انهيار الجيش الألماني..

بدأ الهجوم الأمريكي يوم الخامس والعشرين من يوليو ونظرًا لفداحة خسائر الألمان وحرمانهم من وصول التعزيزات فقد انهارت جبهتهم تحت وطأة هجمات أمريكية متكررة في اليوم التالي.

وقد مكن اختراق الخطوط الألمانية في منطقة «سانت لو» الأمريكيين من الخروج من منطقة المستنقعات إلى السهول المنبسطة في «نورماندي» الجنوبية.. وبعد ذلك بيومين احتل الأمريكيون «كاونتانس» ووصلوا «أفرانش» وتوقفوا عند نهر «سي» البوابة المؤدية إلى «بريتني» وجنوبي فرنسا.. وفي الثاني من أغسطس أمر «هتلر» بتحريك بعض قواته التي تقوم بمنازلة البريطانيين في «كاين» إلى الغرب للتصدي للأمريكيين ولصد الثغرة في الخط الألماني.. وقد تسبب ذلك في إضعاف الخطوط الدفاعية الألمانية مما مكن «مونتو جومري» أخيرًا من شق طريقه في «كاين» وأن يبدأ الهجوم الذي انتهى بتطويق الجيوش الألمانية في جيب «فاليز» .

الحرب في شمال إفريقيا..

ونرجع بشريط الأحداث للوراء قليلاً.. وتحديدًا عندما أقدمت اليابان على مهاجمة أمريكا في ديسمبر عام واحد وأربعين وعندما تحول الرأي العام الأمريكي من التمسك بسياسة العزلة إلى سياسة التدخل.. وانعكس ذلك في الأعداد الكبيرة من المجندين الجدد الذين دخلوا الخدمة العسكرية.. وكان القيام بغزو فوري للقارة الأوروبية هو أقل ما يريده المخططون العسكريون الأمريكيون.. لكن رأي البريطانيين أن قدرات القوات الأمريكية مجهولة ولا تتمتع بالخبرة القتالية..

كما أن السفن اللازمة لمثل هذه العمليات تتطلب سنتين على الأقل لبنائها.. ومن أجل إشباع رغبة الأمريكيين في القيام بعمل ما واختبار قواتهم فقد تم القيام بغزو لشمال إفريقيا المحتل من قبل فرنسا في المغرب والجزائر التي كانت بلا دفاعات تقريبًا.. وتم الإنزال في الجزائر ووهران والدار البيضاء في الثاني من نوفمبر عام اثنين وأربعين وقد جرى حشد أكثر من خمسمائة سفينة لنقل أكثر من مائة وسبعة آلاف جندي مع معداتهم ومؤنهم.. وأخذ المخططون في الحسبان عوامل المد والجزر وظروف الساحل.. وفي اليوم الأول فُقِدَّ ما يزيد على خمسين بالمائة من قوارب الإنزال بسبب حوادث التصادم والانقلاب.

وقد تمت عمليات الإنزال في معظمها بدون مقاومة تذكر.. لكنها لم تكن ناجحة تمامًا في جميع المناطق إذ كان على الأمريكيين أيضًا أن يواجهوا عدوًّا شديد البأس وكانوا على جهل تام بما يتمتع به الجيش الألماني من قوة وشراسة واحتراف.

كان لغزو شمال إفريقيا صدىً كبيرًا تجاوز في أثره تلك الجبهة.. ففي اليوم الثاني

من الإنزال دخلت القوات الألمانية «تونس» وبوقوع القواعد الجوية الفرنسية في يد الألمان أصبح بمقدور سلاح الجو الألماني شن غارات جعلت من المستحيل على الحلفاء نقل قواتهم عن طريق البحر إلى موانئ على الساحل التونسي.. أما المناطق الفرنسية الخاضعة لحكومة «فيشي» فقد جرى احتلالها بسرعة بواسطة قوات المحور القادمة من الشمال والشرق.. وفي طولون أمر قائد البحرية الفرنسية بإغراق ما تبقى من الأسطول قبل أن يستولى الألمان عليه.. فتم إغراق ثلاث بوارج وسبع فرقاطات واثنين وستين قاربًا.

◆◆◆

جيوش المحور في الصحراء الكبرى..

منذ الرابع من نوفمبر كانت جيوش المحور في الصحراء الكبرى تقوم بعمليات تراجع غير منظمة عبر أراضي ليبيا.. ومع أنها كانت هزمت على يد الجيش الثامن البريطاني في مصر إلا أنها لم تكن قوة منهكة.. فبعد عامين من القتال في الصحراء اكتسبت قوات روميل الخبرة في تحمل هذه المشاق .

وفي أواخر يناير وصلت القوات الألمانية المنسحبة إلى تونس فدعمت المدافعين الألمان المحاصرين وجعلت من الممكن شن هجوم مضاد ضد وحدات الحلفاء والتي كانت تتجمع من جهة الغرب.

وفي الرابع عشر من فبراير عام ثلاثة وأربعين شن الألمان هجومهم عبر ممر «أولاد فايد» باتجاه قرية سيدي «أبو زيد» وفي حركة تطويق جريئة شقت وحدات من الفيلق الإفريقي الألماني طريقها عبر الجبال باتجاه الجنوب فحاصرت أكثر من ألفي وخمسمائة جندي من القوات الأمريكية.

ممر القصرين..

وفي التاسع عشر من فبراير وصل الألمان إلى ممر القصرين غرب تونس على الحدود مع الجزائر حيث كان الأمريكيون منذهلون يعيدون تجميع قواتهم..

وكان «روميل» مصممًا على اقتحام الممر والاستيلاء على مستودعات الذخيرة والتموين الخاصة بالحلفاء والموجودة في «تبسا» و «تالا» وفي العشرين من فبراير انقض الألمان على الممر وألحقوا بالأمريكيين هزيمة منكرة ودمروا سرية دبابات بريطانية أرسلت لتعزيزهم.. وفي اليوم التالي وجد «روميل» أن طريقه قد سدت من

قِبل فرق جديدة للحلفاء دفعت بسرعة إلى المنطقة..

ومع أن الألمان أنزلوا بالحلفاء هزيمة ساحقة إلا أنهم وقفوا مشدوهين إزاء الموارد الهائلة لخصمهم فقد دمروا واستولوا على كميات ضخمة من المعدات إلا أن المزيد منها كان يصل كل ساعة..

الاستسلام..

ثم اقتنع «روميل» بأنه لا يستطيع مواجهة التعزيزات والمعدات المتدفقة على الحلفاء فانسحب بقواته عبر الممر واتجه جنوبًا نحو مدينة «ميدنين» من أجل ملاحقة خصمه القديم الجنرال «مونت جومري» والجيش البريطاني الثامن.. لكن الهجوم الألماني بالقرب من «ميدنين» في السادس من مارس كان قد أخفق إخفاقًا تامًا فلم تنفع بسالة واحتراف الفيلق الإفريقي الألماني أمام التفوق الساحق للجيش الثامن في المعدات فكانت هزيمة الألمان في «ميدنين» بمثابة النهاية بالنسبة لقوات المحور في شمال إفريقيا.

في الثاني عشر من مايو أطلقت بقايا القوات الألمانية والإيطالية في إفريقيا آخر طلقاتها واستسلمت للحلفاء فوقع ما يزيد على ربع مليون جندي من قوات المحور في الأسر.

استعادة الحلفاء لشمال فرنسا وبلجيكا..

في أعقاب الهزيمة الشاملة للألمان في الـ«نورماندي» وما أعقبها من أحداث مثل استعادة مدينة باريس في عام أربعة وأربعين بدا طريق الحلفاء مفتوحًا أمام التقدم سريعًا عبر شمال فرنسا من جهة الحدود الغربية لألمانيا نفسها..

ومن نهر السين تقدم الحلفاء على جبهة عريضة وعلى امتداد ساحل القنال

الإنجليزي حيث واجه الجيش الكندي الأول مقاومة ضارية من قبل الوحدات الألمانية التي كانت تتمسك بالموانئ والمواقع المحصنة.. وفي الداخل اختلطت قوات الحلفاء المتقدمة مع فلول الجيش الألماني السابع المتراجع وكانت هناك معمعة صاخبة من الكر والفر.

كان الجانبان يتسابقان بجد لبلوغ الأراضي الألمانية.. الألمان من أجل التزود بالأسلحة.. والحلفاء لشن ما كانوا يأملون بأن يصبح هو الهجوم النهائي في الحرب واجتازوا نهر «الراين» وتقدموا عبر منطقة «الرور» باتجاه قلب ألمانيا..

ووصل التقدم السريع لجيوش الحلفاء إلى الحدود البلجيكية في أقل من أسبوع.. وفي الثالث من سبتمبر دخلت القوات البريطانية «بروكسل» وفي اليوم التالي «أنتوير».

كان الانسحاب الألماني من «بلجيكا» قد أحيط بالتكتم وتم بطريقة منظمة تقريبًا فيما كان وصول الحلفاء مفاجئًا تمامًا.. لكن احتلال بلجيكا كان نهاية التقدم السريع للحلفاء فبين «بلجيكا» و «ألمانيا» توجد أنهار هولندا الكبيرة والتحصينات الدفاعية للجدار الغربي الألماني.

أخطر عمليات الحرب..

ولتجنب هذه التحصينات ولتأمين المرور عبر «هولندا» شن الحلفاء ما عُرِفَ بأنه أكثر عمليات الحرب جرأة ألا وهو الهجوم المظلي على جسور «الراين» في «إندهيفون».. و«نايمان».. و«أرمهيم» وهكذا استعاد الحلفاء شمال «فرنسا» و«بلجيكا» من الألمان..

غزو «النرويج» و «الدانمرك»..

كانت خطة غزو «النرويج» قد وضعت في وقت واحد تقريبًا من قبل الإنجليز

والألمان في الأشهر الأولى لعام ألف وتسعمائة وأربعين.. عبر انهيار حياد «النرويج» بفعل موقعها الاستراتيجي وأهميتها في السيطرة على القطب الشمالي وبحر الشمال.

وكان الألمان ينقلون الحديد الخام الضروري لمجهودهم الحربي عبر ممرات «النرويج» البحرية الخالية من الجليد.. ومن أجل ضمان هذه المياه والاستيلاء على موانئ ومطارات يستطيعون من خلالها السيطرة على بحر الشمال فقد شن الألمان ما أسموه غزوا وقائيًا للنرويج.

وفي هجوم بري وجوي وبحري خُطِطَّ له بعناية أنزل الألمان قواتهم عن طريق البحر في «أوسلو» و«دورجن» و«كريستيان سامت» و«تروند هايم» و«نورفيك» ثم جرى إنزال مظليين للاستيلاء على القواعد الجوية الحيوية في «أوسلو» و«ستافانكر».. وكان الهجوم الألماني من أكثر مغامرات الحرب جرأة فمع أن القوة المهاجمة كانت تتألف من عشرة آلاف جندي فقط إلا أن الأسطول الألماني بأكمله استُخدِمَّ في عمليات الإنزال.. ولكن الإنجليز أخفقوا رغم تفوقهم البحري في التصرف بسرعة وفعالية تاركين الألمان ينزلون ويثبتون أقدامهم.

أما استيلاء الألمان على المطارات في «ستافانكر» و«أوسلو» فقد جعل من الممكن إحضار المؤن والعتاد عن طريق الجو كما أنه وفر قواعد جوية للألمان ليقابلوا التفوق البحري البريطاني والفرنسي بالتفوق الجوي عليهم.

وفي نفس الوقت الذي هاجم فيه الألمان النرويج قاموا أيضًا بغزو الدانمارك وعندما أبحرت ثلاث سفن ألمانية محملة بالجنود إلى ميناء «كوبن هاجن» صبيحة التاسع من أبريل لم تلق أي مقاومة من قبل الدانماركيين..

وتدفقت القوات الألمانية أيضًا عبر الحدود ولم تواجه سوى مقاومة طفيفة أثناء زحفها شمالاً وخلال الساعات توقف الدانماركيين عن المقاومة تاركين الألمان

يجتاحون بلادهم ويحتلونها خلال يوم واحد.. ولم يقع سوى ثلاثة عشر قتيلًا جميعهم من الدانماركيين.. واحتفظ الألمان بالدانمارك طيلة فترة الحرب ولم تستسلم قواتهم هناك إلا بعد انهيار ألمانيا نفسها.

وفي «نارفيك» هاجمت السفن الحربية البريطانية أسطولاً ألمانيا صغيرًا في الممر البحري.. وفي هجومين منفصلين في العاشر والثالث عشر من سبتمبر تم تدمير وتعطيل جميع المدمرات الألمانية العشر الموجودة هناك وفَقَدَ البريطانيون مدمرتين.

وبين الرابع عشر والثامن عشر من سبتمبر أنزل البريطانيون قوات في «نامسوس» و «أندرلسانس» و «نارفيك».. ومع أن القوات البريطانية والفرنسية التي تم إنزالها كانت تفوق القوات الألمانية الموجودة في المنطقة من حيث العدد إلا أنها افتقرت للغطاء الجوي الذي كان أيضًا ينقص سفن البحرية البريطانية المتواجدة قبالة سواحل النرويج.. وبما أن سلاح الجو الألماني كان متفوقا فقد شن غارات ضد السفن الحربية البريطانية وسفن نقل الجنود وضد الوحدات العسكرية المقاتلة..

وأثناء تقهقرها شمالًا كانت بقايا الجيش النرويجي تتعرض لغارات متكررة من الجو ومن القوات الألمانية التي كانت تزحف من «أوسلو».. وبحلول العشرين من سبتمبر كان الألمان قد بلغوا «للي هامر» وبعد أن أصبح النرويجيون يخشون من حركة التفاف فقد بدأوا هجومًا باتجاه «نارفيك» المنطقة النرويجية الوحيدة التي لم تكن تحت سيطرة الألمان.

ومع أن المدينة نفسها ظلت محتلة من قِبل الألمان إلا أن ممر «نارفيك» البحري ومعظم المنطقة المحيطة بها كانت تحت سيطرة الحلفاء.

وفي العاشر من مايو هاجم الألمان البلاد المنخفضة و «فرنسا».. وقرب نهاية الشهر أصبح من المحتمْ على الوحدات والقطع البحرية البريطانية التي تعمل من

«نارفيك» أن تعود للقيام بمهام أخرى قرب سواحل بلادها.

وتفاقم الموقف للحلفاء أكثر فأكثر بقدوم الوحدات الألمانية التي تحررت من القتال في الجنوب وتحركت شمالًا باتجاه «نارفيك».

انتصار عابر..

وفي الثامن والعشرين من مايو سقطت المدينة أخيرًا بيد الحلفاء..إلا أن سقوطها كان مجرد انتصار عابر وباهظ الثمن لأنه تم من أجل تسريع الجلاء عن «النرويج».. بحلول الثامن من يونيو.. وفي اليوم التالي انهارت آخر قلاعي المقاومة النرويجية..

ومع أن الجانبين وضعا خططًا واتخذا الاستعدادات من أجل غزو «النرويج» إلا أن نجاح الهجوم الألماني كما يعود إلى تفوق الخطة الألمانية وتسبب أيضًا بهزيمة قوات الحلفاء في ميادين القتال الفرنسية

الاحتلال والمقاومة..

كانت الطموحات الألمانية لإقامة نظام جديد في «أوروبا» تتطلب حتمًا إخضاع الشعوب والبلاد المجاورة بالقوة.. وفي البداية كانت هذه العملية –خاصة في غمرة الانتصارات الألمانية السريعة– تبدو سهلة التحقيق.. أما في «بولندا» وجزء كبير من غربي «أوروبا» فقد ساد شعور بالاستسلام لكن بحلول عام ثلاثة وأربعين تحولت هذه الحالة إلى حالة من المقاومة الضارية واتخذت هذه المقاومة أشكالًا مختلفة حيث تراوحت ما بين المقاومة السلبية في الامتناع عن تقديم العون والقيام بالعرقلة إلى تنفيذ عمليات تخريب واغتيال وعصيان مسلح.

ومنذ عام اثنين وأربعين أدت الضغوط المتراكمة من جراء الحرب على الاقتصاد

الألماني إلى ازدياد ما تتوقعه ألمانيا من الحكومات والشعوب الخاضعة لسيطرتها.. فبالإضافة إلى ما ينطوي عليه الاحتلال الأجنبي من إهانة فقد كانت هناك أيضًا أعمال السخرة والاستغلال الاقتصادي وحتى الاعتقالات التعسفية ومصادرات الممتلكات.

وكما أن الصراع كان يغذي مشاعر الاستياء فإنه في نفس الوقت قوض الاعتقاد الشعبي بأن ألمانيا قوة لا تقهر وهو الاعتقاد الذي أخذ يضعف خلال عام ثلاثة وأربعين.. وبالإضافة إلى دعم شبكات المقاومة الصاعدة فقد قام الحلفاء أيضًا بتسريب الجواسيس إلى المناطق التي يحتلها الألمان وساعد هؤلاء الجواسيس في تنسيق النشاطات المتنوعة لشبكات التجسس المختلفة فضمنوا بذلك تعاونًا استراتيجيًّا شاملًا بين القوات العسكرية وقوات المليشيات.

وقد لعبت المقاومة دورًا مهمًّا جدًّا على الجبهة الشرقية والبلقان حيث أدت السياسة النازية إلى إثارة كراهية السكان.. وفي إيطاليا نشطت الجماعات الموالية للحلفاء عندما وضع الألمان شمالي البلاد تحت الاحتلال العسكري عام ثلاثة وأربعين.

المقاومة..

في «فرنسا» و «هولندا» و «بلجيكا» لعبت جماعات المقاومة دورًا رئيسيًّا في التحضيرات التي قادت إلى غزو الحلفاء لـ «نورماندي»..

وقد منح الغزو شبكات المقاومة عزيمة وصلت حد التهور وفتح أبواب الصراع على السلطة بين الديجوريين والشيوعيين.. وخلال السنوات الأخيرة للحرب لعبت مجموعات المقاومة دورًا هامًّا.. وكانت عملياتها تنفذ دائمًا في ظروف خطرة..وفي «فرنسا» وحدها يعتقد بأن مئة وخمسين ألف شخص قتلوا خلال مقاومتهم للألمان.



اليابانيون..وحرب المحيط الهادي..

في الساعات الأولى من السابع من ديسمبر عام واحد وأربعين انطلقت ثلاثمائة وخمسون طائرة يابانية من على متن ست حاملات طائرات للقيام بهجوم مباغت على الأسطول الأمريكي في «بيرل هاربر» كان الهجوم صاعقًا إذ دمر سبعًا من البوارج الثمانية ومائتي طائرة أمريكية وهي جاثمة على الأرض.. وتزامنت مع هذا الهجوم هجمات أخرى في كل أنحاء المحيط الهادئ حيث تم قصف «سينغافورا» كما تمت عمليات إنزال يابانية في «الملايو» و «تايلاند» كما تعرضت للغزو أيضًا جزيرة «بوام» الأمريكية .

الاجتياح..

في الأشهر الخمسة الأولى من حربهم اجتاح اليابانيون جنوب شرقي آسيا والمحيط الهادي بقوة وفعالية شلَّت أعداءهم.. وفي الخامس والعشرين من ديسمبر استسلمت «هونج كونج» وبحلول منتصف فبراير كان قد تم اجتياح «الملايو» والاستيلاء على «سينغافورا»..

وفي السادس من مايو سلم الجنرال «وين رايت» «الفلبين» إلى اليابانيين.. وتهاوت قوات الاستعمار الغربي في كل أنحاء جنوب شرقي آسيا والمحيط الهادي تحت وطأة وضراوة الهجوم الياباني.. وظهرت اليابان كقوة كبرى جديدة.

ففي الفلبين وحدها أصبح هناك مائة وعشرين مليون فلبيني رعايا لليابان.. إلا أن اليابانيين لم يكونوا قد حطموا القوة البحرية الأمريكية تمامًا.. فقد أفلتت اثنتان من حاملات الطائرات من التدمير وشكلت نواة لقوة بحرية تم تجميعها من حولها.

تفوق الجيش الأمريكي..

وفي أبريل ومايو عام اثنين وأربعين خاض الأمريكيون معركتين بحريتين رئيستين لعبت فيهما حاملات طائراتهم دورًا حاسمًا في بحر «الأورال» ثم في «ميد واي» حيث ردُّوا القوات اليابانية المتفوقة على أعقابها..

وهذه المعارك أدت إلى كبح جماح التوسع الياباني وكانت دليلًا واضحًا على تصعد قوة أمريكا مما سيؤدي خلال أقل من ثلاث سنوات إلى هزيمة اليابان نفسها..

في السابع من أغسطس نزل الأمريكيون في «جوادال كانال» حيث استمرت المعركة هناك ستة أشهر.. ومع أن أيًّا من الجانبين لم يحرز نصرًا تامًّا إلا أن الخسائر اليابانية كانت أكثر فداحةً وأشد أذًى.

وقد صدم الأمريكيون من ضراوة مقاومة اليابانيين الذين جاء انسحابهم المفاجئ من الجزيرة بمثابة الفرج للأمريكيين.. وقد وفر استيلاء الأمريكيين على الجزيرة في فبراير عام ثلاثة وأربعين نقطة انطلاق لسلسلة من الانتصارات البحرية التي قاموا بها.. لكن الأمريكيين فوجئوا بأن عناد اليابانيين وإصرارهم على المقاومة يصبح أكثر عنفًا كلما اقتربوا من اليابان..

في جزيرة «سايبان» إحدى جزر «مارينا» فضل ثلاثون ألفًا من القوات اليابانية القتال حتى الموت على أن يستسلموا وألقى ثمانية آلاف من المدنيين اليابانيين بأنفسهم إلى البحر مفضلين الموت غرقًا على الاستسلام للأمريكيين.

وفي عام أربعة وأربعين قبالة ساحل جزيرة جوان في بحر الفلبين خاضت حاملات طائرات الجانبين معركة مميتة حيث شن كل واحد منهما ضربات جوية ضد أسطول الطرف الآخر.. ولكن لما كان الأمريكيون متفوقين من حيث العدد والعدة فقد ألحقوا

باليابانيين هزيمة حاسمة أبيدت حاملات الطائرات اليابانية.

ضربة أخيرة..

وفي خليج «ليتي» في «الفلبين» وبمساعدة من الطيارين الانتحاريين قامت بقايا الأسطول الياباني بتوجيه ضربة أخيرة لكن الهجوم كان بمثابة دمار نهائي للقوة البحرية اليابانية.

في التاسع من عام خمسة وأربعين نزل الأمريكيون على جزيرة «ليزون» تلك الجزيرة الرئيسية في سلسلة جزر الفلبين والتي تقع فيها العاصمة الفلبينية «مانيلا».. لكن معركة «ليزون» ظلت مستمرة حتى نهاية الحرب.. وكان لليابانيين ما يزيد عن ربع مليون جندي هناك ركزوا قواتهم في مناطق جبلية نائية وعملوا على تحصين مراكز مهمة ونقاط قوية.

كان هدف اليابانيين خوض حرب عصابات مرهقة في «ليزون» فحالوا بذلك دون استعمال هذه الجزيرة كقاعدة أمريكية لغزو اليابان.. لكن الخطط الأمريكية كانت تتركز في الاستيلاء على جزر «أيو جيما» و«أكي ناوا» فمنها يمكن القيام بعمليات جوية وبحرية ضد الجزر اليابانية الرئيسية نفسها.

ولإضعاف دفاعات جزيرة «أيو جيما» احتاج الأمريكيون خمسة وسبعين محاولة من القصف المتقطع تم خلاله تحويل الجزيرة الصغيرة إلى بحر من الرماد والجمر المحترق.. وكان اليابانيون يكمنون داخل تحصينات منيعة تحت الأرض.

الحلفاء يستأنفون الهجوم..

وعندما استأنف الحلفاء هجومهم في فبراير عام خمسة وأربعين تم دحر القوات الألمانية بصورة حاسمة على طول الجبهة الغربية.. ومع نهاية الشهر كان الحلفاء قد

وصلوا إلى نهر «الراين» وفي الخامس من مارس بدأ الجيش الأمريكي الأول تقدمًا حذرًا من خلال الشوارع المهدمة في مدينة «كولون» القديمة الواقعة على نهر «الراين» وبعد يومين استولت على جسر «ريماجن» وحدات من الجيش الأمريكي الأول بعد أن فاجأت الألمان وفتح ذلك طريقًا رئيسيًّا سريعًا عبر نهر «الراين» إلى قلب ألمانيا.. وبينما كان الجيش الأمريكي الأول يعزز رأس الجسر الذي أقامه في «ريماجن» عبر البريطانيون بقيادة الجنرال «موند كومري» نهر «الراين» إلى نقطة أبعد شمالًا قرب مدينة «ووسل».

أما وقد أصبح نهر «الراين» خلف الحلفاء فلم يعد هناك حائل بينهم وبين المدن الصناعية الكبرى في «ألمانيا» وفي الأول من أبريل التقت وحدات أمريكية عند «نبشتاد» مكملة تطويق منطقة «الرور» ومحاصرة القسم الأكبر من الجيش الألماني من المجموعة الثانية.

وخلال النصف الأول من أبريل استمر الحلفاء في التقدم على جميع الجبهات وكانت مقاومة الألمان لقوات الحلفاء تضعف يوميًّا إذ عرقلتها الاتصالات المشوشة والنقص المزمن في الوقود والذخيرة.

استسلام آخر القوات الألمانية..

وفي الثامن عشر من أبريل استسلمت آخر القوات الألمانية المحاصرة في منطقة «الرور» وتم أسر ثلاثمائة وخمسة وعشرين ألف ألماني.. وكان الاستيلاء على منطقة «الرور» قلب الصناعة الألمانية وتدمير مجموعة ا لجيش الثانية نهاية جميع أعمال المقاومة الألمانية الحقيقية على الجبهة الغربية.

ومع تهيؤ الألمان لمعاركهم اليائسة الأخيرة على الجبهة الشرقية بدأ الحلفاء

بالانطلاق في جميع الاتجاهات.. شمالًا باتجاه مدن «البلطيق» «لوبك» و«فيسمار» .. وجنوبًا عبر «ميونخ» إلى «النمسا».. وشرقًا إلى نهر «الألبرت»..

الحلفاء يدخلون روما..

خلال شتاء وربيع عام أربعة وأربعين كانت جيوش الحلفاء في إيطاليا تقاتل دون تحقيق أي تقدم ضد التحصينات الألمانية عند خط «كوستاف» وقد تمكن الألمان من احتواء طليعة قوات الحلفاء خلف خط «كوستاف» عند «أنزيو» وقصفها دون هوادة بالمدفعية العادية والمدافع العملاقة.. وقد تعثرت جهود الحلفاء لكسر ذلك الطوق نتيجة لعدم التعاون بين القادة البريطانيين والأمريكيين.

اختراق خط «كوستاف»..

وفي مايو بدأ القائد العام لقوات الحلفاء في إيطاليا المارشال الإنجليزي «ألجزاندر» هجومًا رئيسيًا على خط «كوستاف».. وأمر القائد الأمريكي التابع له وهو الجنرال «كلارك» بأن يعمل على الخروج عند «أنزيو» ليقطع خطوط الانسحاب الألمانية..وفي منتصف مايو تمكنت قوات «ألجزاندر» من اختراق خط «كوستاف» واستولت على مرتفعات «مونتو كاسينو» الاستراتيجية مما عجل بانسحاب ألماني مضطرب إلى شمالي روما وأدى ذلك إلى قلب الموقف لصالح قوات الحلفاء المحاصرة في «أنزيو» ومكنها من التقدم والتصدي للوحدات الألمانية المنسحبة.

وقد تجاهل «كلارك» الأوامر ووجه قواته شمالًا باتجاه روما لا شرقًا كما طُلِبَ منه.. وأضاع بذلك فرصة إلحاق هزيمة حاسمة بالألمان في إيطاليا..

وفي الخامس من يوليو دخلت قوات «كلارك» روما بينما استمر الانسحاب

الألماني الموازي دون أن يعترضه أحد.

وقد ثبت فيما بعد أن عملية الاستيلاء على روما كانت ذات أهمية بالغة لحملة الحلفاء في إيطاليا..وفي اليوم الذي تلا دخول «كلارك» إلى المدينة نزل الحلفاء في «نورماندي» وتراجعت إيطاليا لتحتل موقعًا استراتيجيًّا ثانويًّا في ساحة الصراع.. ومن هذه اللحظة فصاعدًا نقل الحلفاء الجنود والمعدات من إيطاليا إلى ساحة الحرب في فرنسا مما حول الأنظار عن المكاسب التي كان قد حققها هجوم «ألجزاندر» على خط «كوستاف».

ومع تجمع معظم القوات والمعدات الألمانية وتثبيتها في مواقع جديدة شمالي روما تمكن الألمان من الصمود في إيطاليا حتى نهاية الحرب.

معركة العلمين..

جرت معركة العلمين في مدينة العلمين غربي الإسكندرية في ليبيا في ١٩٤٢ بين ألمانيا بقيادة روميل الذي لُقِبَّ بعدها بثعلب الصحراء وبريطانيا إذ تمكن الجيش البريطاني الثامن بمساعدة الفرقة التاسعة من الجيش الأسترالي من وقف زحف روميل..وفي فبراير ١٩٤٢م بدأ البريطانيون زحفاً مضاداً أثمر عن هزيمة الجيش الألماني فيما يعرف تاريخيًا بأنه بداية النهاية لروميل.

اجتياح الفلبين..

أخذت جُزر الفيليبين على حين غرة بعد بضعة أيامٍ من الهجوم على بيرل هاربر وحقق اليابانيوْن تفوقاً جوياً منذ بداية الهجوم على جنوب شرق آسيا.. و مرةً أخرى تفاجأُ الطائرات الأميركية جاثمةً على الأرض في صفوفٍ مرتبة مسهلةً الأمر على اليابانيين.. وتحول خليج مانيلا الواقع قرب جزر الفلبين إلى فخٍ مميت بسبب غياب

الغطاء الجوي.. لقد قرر اليابانيون و هم سادة الجو و البحر.. أن يتجهوا نحو مانيلا عاصمة الفلبين.. وعلى مدى الأسبوعين التاليين اتجهت القوات اليابانية إلى مانيلا وكانت الجيوش اليابانية المهاجمة توازي نصف حجم الجيوش الأميركية و الفيليبينية.

ومع تفوقهم البحري تمكن رجال البحرية اليابانية من الهبوط بسهولة على شمال و جنوب الجزيرة.. و أحكموا سيطرتهم على القوات الأميركية.. و بسرعةٍ تمكن ٩٠٠٠٠ ألف جنديٍ ياباني من مهاجمة آلاف الجنود الأميركيين.. ولم يكن بمقدور الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً لنجدتهم..

واستطاع اليابانيون في بداية العام أن يبيدوا بالفعل الطيران الأميركي في مطارات جزيرة لوزون.. وأن يحدثوا تخريبات هائلة في القاعدة البحرية الهامة هناك.. ففي أول يناير ١٩٤٢م و بغياب الغطاء الجوي.. شعر الجنرال الأميركي ماك آرثر أن الدفاع عن مانيلا كان بلا جدوى فاتخذ قراره بالانسحاب حيث سيطرت القوات اليابانية على معظم الجزيرة الكبيرة لوزون إلا جزء يسير منها أي شبه جزيرة باتان التي أرغم الأميركيون إلى الرجوع إليها.

معركة بلكبابان البحرية « Balikpapan »

بدأ اليابانيون هجومهم على جزر بورنيو.. سومطرة.. جاوا.. وسيليبس هذه الجزر موجودة في جنوب الباسيفيك بالقرب من سنغافورة و ماليزيا.. وقاموا بتوجيه ضربة مزدوجة وفي وقتٍ واحد إلى كلٍ من جزيرتي بورنيو وسيليبس..وبوغتت حاميات الحلفاء بإنزال المظليين اليابانيين مباغتة كاملة.. مما ساعد المظليين اليابانيين على احتلال الجزر بسرعة.. و أزالوا كافة المقاومات في الجزر.

و أخذت دفاعات الحلفاء النموذجية في التداعي و السقوط واحداً بعد الآخر

أمام حشد القوات البرمائية و أمام الضربات القوية للمظليين.

وفي ٢٣ و ٢٤/ ١/ ١٩٤٢م جرت معركة بحرية بالقرب من ميناء بلكبابان حيث خاض الأسطول الحليف معركة بحرية و ذلك لضرب الإمدادات اليابانية المتجهة إلى الميناء.. و استطاع الحلفاء إلحاق بعض الخسائر في الأسطول الياباني إلا أن الحلفاء تعرضوا أيضاً لخسائر مماثلة في السفن.

وفي الفترة من ٢٧/ ٢/ ١٩٤٢م حتى بداية شهر مارس و خلال سلسلة من المعارك استمرت ثلاثة أيام.. أغرقت البحرية اليابانية ٥ سفن جوالة..و ٦ طرادات من سرب يحتوي على سفن حربية إنجليزية و أميركية و هولندية يقوده الأميرال الهولندي دورمان.. بينما بلغت خسائر اليابانيين طراداً واحداً.. وعندها أدرك الجميع أنه لم يعد شيء قادراً على الوقوف أمام المارد الياباني .

معركة بحر جاوا البحرية (Java Sea) :

في شهر فبراير ركز اليابانيون جهودهم فوق جزيرة هامة وهي جزيرة «جاوا» في جنوب شرق آسيا.. و قد أصيبت إحدى قوافل اليابانيين و هي تمر عند مضيق ماكاسار متجهة إلى الجزيرة.. ببعض الخسائر بسبب معركة بلكبابان خاضتها ضد طرادات أميركية يومي ٢٣ و ٢٥ من شهر يناير .

و قد رد اليابانيون بأن أغرقت قاذفاتهم حاملة الطائرات الأميركية (لانجلي) التي كانت تنقل طائرات مطاردة إلى الجزيرة.. و في نهاية شهر فبراير بلغت المعركة مرحلتها الحرجة في بحر جاوا.

معركة باتان (Bataan) :

قاد الجنرال الأميركي ماك آرثر دفاعاً مريراً عن شبه جزيرة باتان في الفيليبين

التي حشدت فيها القوات الأميركية.. كانت القوات الأميركية تتمتع بروحٍ معنويةٍ عالية.. إلا أنه تم إعلام ماك آرثر سراً بأنه لا يمكن إرسال أي نجدة و لم تكن باتان تمتلك أكثر من مؤونة شهر.

و في شهر مارس عام ١٩٤٢م أرسل الجنرال ماك آرثر إلى استراليا.. لتنظيم الوحدات الأميركية بهدف التخطيط لهجوم واسع النطاق على القوات اليابانية في المستقبل.

وبقي الجيش الفيليبيني صامداً في مكانه.. و على الرغم من نقصٍ حادٍ في المؤن.. تمكن الفيليبينيون من الحفاظ على مواقعهم.. بانتظار وصول التعزيزات.. و أما اليابانيون فقد قاتلوا بصعوبة و لمدة أطول.. لمدة فاقت كل توقعاتهم..

و لم تجد القوات الأميركية و الفيليبينية أمام هذا الاجتياح الهائل غير التراجع إلى الوراء محاولين تغطية هذا التراجع بمعارك يائسة تخوضها قوى المؤخرة.. و بذلك استطاعت تلك القوات أن تبلغ غابة باتان الصخرية.

وصمدت القوات الأميركية و الفيليبينية المتراجعة في باتان و كوريجيدور.. و هما قلعتان مبنيتان خصيصاً لحماية شبه الجزيرة أمام أي غزو يأتي في البحر من اليابانيين.

وكان اليابانيون يتسللون بين وحدات الحلفاء المنتشرة على جبهة واسعة جداً.. ويلتفون حول أجنحتها.. ويقيمون السدود على طرق الانسحاب.. و يتشبثون بعناد في المواقع التي يحتلونها.

الحلفاء في مأزق..

وجد الحلفاء يجدون أنفسهم يوماً بعد يوم عرضة للمزيد من التمزق والتشتت.. وقد أضعفتهم الخسائر ضمن الشروط المنهكة للمعارك الاستوائية.

في تلك الأثناء جمع اليابانيون مائتي قطعة مدفعية مع آلاف التعزيزات لشن هجوم نهائي.. وأعطيت الإشارة ببدء الهجوم يوم الجمعة الحزين.

وبعد صد اليابانيين طوال شهرين كاملين.. بدأت مواقع الدفاع الأميركية والفيليبينية في شبه جزيرة باتان تتلاشى.. وتفشت المجاعة والأمراض الاستوائية.

ولم يطل الصمود فالخسائر الكبيرة التي نزلت بهذه القوات و نقصان المؤن.. والمرض.. و استحالة الحصول على النجدات والأسلحة و غيرها.. قد حطمته.

استسلام قائد القوات الأميركية..

في التاسع من إبريل ١٩٤٢ استسلم قائد القوات الأميركية في شبه جزيرة باتان لليابانيين و أُسِرَّ نحو ٨٠٠٠٠ أميركي و فيليبيني.. و أُجبِروا على المشاركة في مسيرة مميتة توفي خلالها عشرة آلاف جندي.. وتاريخياً كان أسر الضباط أمراً يؤدي إلى الخزي.. و لكن مع حلول الحرب العالمية الثانية.. فإن طبيعة الحرب واتساع رقعة القتال و تقدم القوات.. أدى إلى إدراك أن أشرف الجنود يمكن أن يقعوا في الأسر.

و قد أعلن المراقبون الحربيون أن اليابانيين قد تميزوا بالبراعة و القسوة.. وأصبح التخريب و الاعتداءات و القسوة الموجهة إلى الأسرى.. بمثابةإهانة للحلفاء ومصدراً لغضبهم الشديد .

كما أدى قيام الحرب العالمية الثانية إلى تقليص مفهوم المدنية[1] Civilian.. فقد قامت البلاد المشاركة باستخدام المدنين في خوض المعارك كجنود وفيالق في ساحات الحرب.. كما تشير التقارير أن ثلثيَّ الذين قتلوا كانوا من المدنيين.. أدت الحرب العالمية الثانية إلى وجود نشاط وتقدم ملحوظ في الكثير من المجالات

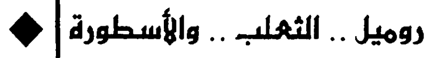
(١) أي الحضارة .

الاقتصادية والصناعية وحتى على صعيد القدرات العلمية والتي سخرت جميعها في خدمة الحرب.. وقدرت الكلفة المالية للحرب بـ تريليون دولار أمريكي بحسابات عام ١٩٤٤ .. وذلك جعلها أغلى حرب من حيث التكاليف والأرواح.. وانتصر الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكنتيجة.. لذلك قامت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بتشكيل أكبر قوتين في العالم وأدى ذلك فيما بعد إلى قيام ما يسمى بالحرب الباردة بينهما والتي امتدت إلى ٤٥ عاما.

بانتهاء الحرب في أوروبا في أبريل ٢٧ عام ١٩٤٥ اقترب الحلفاء كثيرًا من ميلان.. و تم القبض على موسوليني من قبل المحاربين الإيطاليين.. و الذي كان يحاول الهرب من إيطاليا إلى سويسرا ثم السفر إلى ألمانيا مع الوحدة المضادة للجو الألمانية.. وفي أبريل ٢٨ .. تم اعتقال موسوليني و بعض الفاشيين الآخرين معه وتم أخذه إلى دنجو ليتم إعدامه هناك.

ثم أخذت جثثهم و تم تعليقها أمام محطة للوقود.. وعندما عرف هتلر بموت موسوليني.. اقتنع أخيرًا أنه هذه هي نهاية الحرب.. مع ذلك بقي في برلين.. بالرغم من حصار القوات السوفياتية للمدينة.. وفي النهاية قام أدولف هتلر مع عشيقته التي أصبحت فيما بعد زوجته إيفا براون بالانتحار داخل ملجئه.. موليا الأدميرال كارل دونتز من خلال وصيته.. كمستشار لألمانيا.. و لكن ألمانيا بقيت تحت حكم دونتز لسبعة أيام فقط حتى قام بإعلان استسلام غير مشروط في مايو ٨ عام ١٩٤٥.





الفصل الثاني

روميل ...
وحرب الصحراء

كانت ليبيا مستعمرة إيطالية وعندما هاجم جنود «موسيليني» القوات البريطانية الموجودة في مصر.. بدأت تلك القوات برد الهجوم.. وتوغلت إلى مسافة تسعين كيلو متراً داخل الحدود الليبية.. ونظراً لافتقار القوات الإيطالية للتعزيزات والإمدادات أُنهِكَتْ إلى أقصى حد.. فتمكنت حينها القوات البريطانية من تدمير كل دفاعات الجيش الإيطالي في ليبيا في غضون ثمانية أسابيع.. بدا الأمر وكأن إيطاليا ستخسر قبضتها على المستعمرة.. وعندئذ لجأ «موسيليني» إلى حليفه «هتلر» طالباً المساعدة.

وخلُصَ «هتلر» إلى رأيٍ مفاده أن الموقف بهذ الشكل يستدعى وجود رجلاً غير عادي.. وكان «روميل» الرجل المناسب للمهمة.. فقد كان وقتها في نظر «هتلر» هو أكثر جنرالات فرق الدبابات جرأة في الجيش الألماني كما وصفه بنفسه.

فأصدرَ هتلر أوامره بنقل «روميل» من فرنسا المحتلة إلى شمال إفريقيا.. وكانت تلك بداية ما يعرف في سجلات الحروب المعاصرة بـ «حرب الصحراء».

وفي الواقع يمكننا التأكيد أن حرب الصحراء كانت بالفعل حرباً خالية من الحقد.. ولحسن حظ «روميل» أنه بني صورته العسكرية.. والإنسانية بشكل إيجابي في ليبيا.. بعد أن ذاعت شهرته كجنرال.. وكرجل مميز.. يؤمن بفكرة الحرب النظيفة.

وعند بداية توليه المهمة بادره أحد قواده متخوفاً بقوله:

- في الصحراء.. إما أن يجد المرء مصيره.. أو دماره..

فأجابه «روميل» قائلاً:

- أما أنا فلعلي سأجد الأمرين معاً.

تقدمت أولى الدبابات الألمانية إلى طرابلس الغرب عاصمة ليبيا في الثاني عشر

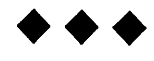
من مارس من عام١٩٤١ ونزل «روميل» الذي أصبح القائد الأعلى للقوات الألمانية في أفريقيا إلى الرصيف بنفسه.

تمثلت مهمته في إيقاف التقدم البريطاني.. لكن «روميل» كان يخطط لمشاريع أكبر

وكان هناك ملازمًا شابّاً يدعى «هازو شميث» موجوداً أيضاً على الرصيف.. كان يشغل منصب مراقب في مستعمرة إريتريا شرق أفريقيا.

التفت «روميل» إليَّه ثم كلمه مستعلماً عن الأوضاع في المنطقة.. فأطلعه على الحقيقة بشكل موضوعي قائلاً له أنهم من وجهة نظره لم يتمكنوا من تحقيق أي إنجاز عسكري حتى الآن.. وأخبره أنه وصل إلى المكان قبل أربع وعشرين ساعة فقط.. لكن هذه هي الحقيقة

فقال له: ما أدراك أيها الملازم؟ سوف ندفعهم إلى التراجع إلى قناة السويس وعندها سأتدبر الأمر.



دهاء روميل

ومن اللحظات الأولى لجأ «روميل» إلى الدهاء لكي يظهر قويّاً.. فأمر سائقي الدبابات بقيادتها حول المباني قبل أن يصطفوا في العرض.

وأرسل «روميل» جنوده إلى الصحراء مباشرة بعد الاستعراض لمواجهة القوات البريطانية.

كنا نرى في الصحراء غيوماً من الغبار تغطي السماء حتى عندما لم نكن نرى أي جنود كنا نشاهد ذلك الغبار.. هذا لأن «روميل» اخترع وسيلة لنفث الغبار في الهواء فقد جهز سيارة فولكس فاجن بمحرك صغير مزود بمضخة تحدث غيوما من الغبار فيخيل لطائرة استطلاع العدو أنها فرقة عسكرية كاملة.

إلا أن «روميل» كان يجهل بأن خدعته تلك لم تكن تجدي أي نفع.. فقد تم نقل الجنود البريطانيين إلى اليونان.

الصدام الأول

وأخيراً بعد مسافة تسعمائة كيلو متر في الصحراء وقع صدام الأول بين الطرفين في قلعة الأدايل الصحراوية.. وتولى خلالها الملازم «فين بير» قيادة قوات الصد.

ذهب روميل سيراً على الأقدام برفقة فرقة صغيرة على طول الشاطئ.. وكان الليل قد حل.. فاستولى على القلعة وسرعان ما أدرك أنه فيما عدا مئات الآلاف من الدبابات لم يكن هناك جندي بريطاني واحد في القلعة.. ولم يروهم إلا في الصباح الباكر مع بعض سيارات الاستطلاع فهاجمتهم القوات الألمانية.. وتغلبوا عليهم.. وانتهى الأمر عند هذا الحد.

حرب إعلامية

كانت تلك أول مقابلة مع الإنجليز.. ونظراً لأهميتها الاستراتيجية الكبيرة ظهرت القصة الصغيرة في الصحافة الألمانية وظهرت قلعة الأقايلة في التقارير الصحفية مَدمرة تماماً.. وأذيعت أخبار حول معارك دامية جرت فيها في حين أن المعركة الحقيقية كانت بسيطة وأشبه بألعاب الصبية الصغار.

تم إطلاق النار الكثيف على الدبابات البريطانية المهاجمة في قلعة الأقايلة وتولى الجنرال «روميل» القائد الأعلى للقوات الألمانية قيادة الهجوم بنفسه وتقدمت الدبابات باتجاه العدو.

وظهر «روميل» في وسط المعركة على الرغم من أنه لم يسافر إلى موقع القتال إلا في اليوم التالي.

لم يعارض «روميل» فكرة استعمال صورته بشكل متكرر.. من أجل بث الدعاية أمام عدسات المصورين.. لم يمانع حضور المصورين لالتقاط صوره.. ولم يمانع وقوفه أمامهم.. وأصبح «روميل» نجم النشرات الإخبارية الأول.

وكان يتخذ وضعية تصوير أمام عدسات الكاميرا فإن لاحظ مصور يريد تصويره من الجانب كان يرفع ذقنه ويحافظ على وضعيته بضع ثوان ليمنح المصور وقتاً لتصويره.

ومن هنا أصبح محط الأنظار وبدأ نجم «روميل» يسطع عالميًا.

وأصبح الجميع يريدون أن يعرفوا المزيد عن ذلك القائد الكاريزمي.. ولا يتوقفون عن السؤال عليه.. وطغت شهرته على كل شيء.. بينما كان هو مستمر في التقدم باتجاه الشرق.. وكانت محطته التالية بني غازي.

كانت القوات الألمانية أقل بكثير من القوات البريطانية التى هاجمها الجيش الألماني من قبل في تشيلي في السادس من أبريل عام ١٩٤١.

وخلال أسبوعين فقط تمكن «روميل» من إعادة السيطرة على سيرلانكا وعند وصوله الحدود المصرية بقي مكان واحد لم يستطع السيطرة عليه وهو مدينة طبرق[1].

وفي العاشر من إبريل عندما شن الألمان هجومهم.. لم يكن يتوفر لديهم من أدوات الاستطلاع إلا المنظار العادي.. وهو غير كاف لإجراء استطلاع واقٍ للأرض وللمعدات الموجودة عليها بوضوح.. فالمنظار لا يكشف الألغام الأرضية وما شابه.

فخ اسمه «طبرق»

ولم يكن «روميل» يعلم أن الإيطاليين قد حولوا طبرق إلى حصن محمي.. فقد

(١) طبرق Tobruk مدينة ساحلية ليبية تبعد عن العاصمة طرابلس بمسافة تقدر بـ ١٥٠٠ كيلو متر شرقا، وهي شبه جزيرة تحيط بالبحر المتوسط لمسافة ٨ كم تقريبا. وتقابل جزيرة كريت تماما من الجهة الأوروبية. تحوي ميناء طبرق البحري. تميز بالمناظر الطبيعية البحرية وهضاب وخلجان.. تضم حالياً الآثار الحربية خلال الحرب العالمية الثانية وتتمثل في:

- المقبرة الألمانية وتضم رفات حوالي ٧٠٠٠ جندي ألماني وهي على هيئة قلعة قديمة.
- المقبرة الفرنسية وتضم رفات حوالي ٢٠٠ جندي من الفرنسيين.
- مقبرة طبرق الحربية (كومنولث) وتضم رفات حوالي ٢٤٧٩ جندي من الحلفاء وأغلبهم من الاستراليين.
- مقبرة عكرمة الحربية(ايت بريد) وتضم رفات ٣٦٤٩ جندي من الحلفاء معظمهم من الإنجليز وجنوب أفريقيا ونيوزيلندا.

وكانت غرفة عمليات الحرب العالمية الثانية تقع وسط مدينة طبرق وهي عبارة عن مجموعة من الغرف تحت الأرض استغلت في الحرب العالمية الثانية من قبل القوات المتحاربة بالإضافة لمقر إقامة روميل الرئيسي ومخبأه الذي كان يدير منه المعارك الحرب العالمية الثانية في شمال أفريقيا.

ضمت المنطقة مائة وستة وعشرين خندقاً.. بالإضافة إلى أسوار الأسلاك المعدنية الشائكة.. والألغام الأرضية والخاصة بالدبابات.. وكانت كلها تحيط بالمدينة من كل جهة.. وكانت فرقة من القوات البريطانية قابعة فيها بانتظار «روميل» وقواته.. وشن الجنود الألمان هجومهم الأول باتجاه طبرق المحصنة غير مدركين ما ينتظرهم فيها.

كما شنوا هجومهم في العاشر من إبريل على طول الطريق.. وكان الطريق مجهزاً بالمدافع ومضادات الدبابات.. بينما كان عليهم مواجهة النيران الكثيفة.

وفي بادئ الأمر وقعت معركة بين الفِرق المدفعية من قبل كلا الطرفين.. لكن متى زاد تقدمهم لم تعد لديهم أية فرصة للنجاة وتكبدوا بعد ذلك خسائر بشرية جسيمة.

أراد «روميل» السيطرة على طبرق بأي ثمن.. وأصدر أوامره للجنود بألا يتوقفوا عن الهجوم.

واستمر الجنود بمهاجمة المدينة المحصنة مدة أربعة أيام ولكن دون نتيجة.

كان إصراره الشديد على متابعة الهجوم بمثابة مخاطرة كبيرة.. وغير لازمة.. وبالطبع كان جنوده هم من دفعوا الثمن.

ردود أفعال قاسية

أدت المعركة الدامية في طبرق إلى خسائر فادحة.. وبلغ عدد القتلى والمصابين والأسرى في طبرق حوالي ألف ومائتين وأربعين رجلاً.. وفي برلين تزايدت الشكوى حول سلوك الجنرال العنيف.. وغالباً ما قيل إنه يفتقد إلى البصيرة وإنه يعامل رجاله معاملة قاسية وصارمة.

وتوترت أعصاب القائد المحنك .. وزادت عصبيته حتى وهو يتعامل مع أقرب المقربين له.. وبدأ يتعمد تجاهل الجنود.. وعندما يشعر بأن أحدًا لم يؤد واجبه على أكمل وجه.. كان لا يتوقف عن الصراخ في وجهه.. وصفعه إن أمكن.

ولاشك أن تصرف مثل هذا يوجه إلى ضابط في حضور جنوده أو جندي في حضور زملاءه له أثره السلبي الشديد في كل شيء.

وأصبح اسمه «الجندي المجنون»

حاول قائد أركان الجيش «فانز هالدر» أن يتخلص من الجندي المجنون كما أسماه.. لم يقبل «هتلر» حتى بمناقشة المسألة لأنه كان بحاجة إلى رجل كـ «روميل» في أفريقيا.. رجل يستطيع تحقيق إنجازات كبيرة بوسائل محدودة.

كان القتال شديد الصعوبة وخاصة في شهر مايو في رأس المدور.. حيث كانت ظروف القتال أشبه بما حدث في معركة «فيردان»[1].. لكن الجنود الألمان وحلفاءهم الإيطاليون تمكنوا من تجاوز تلك الأوقات العصيبة.. وصد كل محاولات العدو للسيطرة على طبرق.. أو الاستيلاء على المدافع عند الحدود المصرية.

عنيد وقاس

ومنذ هذه المعركة تمحورت حياة روميل كلها حول حياة الجندية لم يكن بوسع أى شخص أن يجري معه حديثاً شخصياً عن أية أمور أخرى.. ولم يعد «روميل» يهتم فعليّاً إلا بما يعيشه من حالة حرب مستمرة.. وفيما بعد وصفه رئيس أركانه

(١) فيردان (Verdun) مدينة فرنسية تقع في منطقة لورين في شمال شرقي فرنسا. وكانت مسرحًا لأشرس معركة (من ٢١ فبراير إلى ١٩ ديسمبر ١٩١٦) في الحرب العالمية الأولى إذ أودت بحياة ١٦٣٠٠٠ جندي فرنسي و١٤٣٠٠٠ جندي ألماني.

لاحقاً بأنه عنيد وقاس.

مع جنوده في خضم المعارك

على الرغم من كل ذلك كان تفوقه ظاهراً بالأخص بين صفوف الجنود.. الذين غالباً ما كانوا يشاهدونه إلى جانبهم على الجبهة.. مما خَلَفَ لديهم انطباعاً إيجابيّاً.

لم يعتد الإيطاليون على ذلك.. لكن كما قال رجاله.. ضباطه.. إن سلوكه الشخصي كان يحثهم على دخول المعركة من أجله.. لأنه هو نفسه يفعل الأمر من أجلهم.. وتم استغلال سلوك «روميل» العسكري في ألمانيا لبث المزيد من الدعاية.

وكان يقف «روميل» دائمًا إلى جانب جنوده على جبهة القتال.. ولم يكن من تلك النوعية من الجنرالات الذين تراه دومًا محاطاً بموكب كبير من الجنود والحراس.. وكأنه كائن متفوق لا يمكن الاقتراب منه.. فكنت ترى دومًا «روميل» إلى جانب رجاله في خضم المعركة.. معرضًا نفسه إلى المخاطر ذاتها بشكل لم يسبقه إليه قائدٌ آخر.

كلهم روميل

يقول أحد الضباط الإيطاليين الذين اشتركوا في تلك المعارك.. ونشر مذكراته الشخصية عنها فيما بعد:

[بالفعل كان «روميل» شخصاً شجاعاً.. وعندما كنا نتحدث عن جنود من دول أخرى كنا نلقبهم بالعديد من الألقاب.. وكذلك مع الألمان.. ولكن بعد فترة قصيرة عندما كنا نتحدث عن الألمان صرنا نقول «روميل»].

الهجوم المعاكس

فجر يوم الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٤١ خرجت القوات البريطانية من

حصن طبرق.. وكانت تلك بداية الهجوم المعاكس البريطاني.. وبعد ثلاثة أسابيع لم يجد «روميل» أمامه سوى الانسحاب.

كان قرار التخلي عن طبرق والانسحاب منها بعد حصار دام ستة شهور قراراً صعباً جداً.. على قائد مثل روميل .. الذي واجه فضلا عن ذلك صعوبة كبيرة جداً في الانسحاب لأن جزءاً كبيراً من قواته كان يفتقر إلى وسائل النقل.

وبعد تسعة شهور اندحرت تمامًا فرقة الدبابات في أفريقيا.. وعادت إلى النقطة التي انطلقت منها في البداية.. وبدا أن الاحتلال الألماني وصل نهايته في أفريقيا.

الاستيلاء على بني غازي للمرة الثانية

وفي الخامس من يناير عام ألف وتسعمائة واثنين وأربعين.. وللمرة الأولى خلال فترة طويلة وصل موكب بحري من دون أي خسائر.. حاملاً أربعاً وخمسين دبابة جديدة.. وتمكن «روميل» مجدداً من التقدم بنجاح.

وفي التاسع والعشرين من نفس الشهر.. تمكن الألمان من الاستيلاء على بني غازي للمرة الثانية.. كان ذلك النصر غير ذي قيمة من وجهة النظر العسكرية.. ولكنه كان ضرورياً لهتلر.. الذي وجه خطاباً لشعبه في قصر الرياضة في برلين.. قال فيه:

(سوف نقاتل حيثما نكون.. لن نتخلى عن شبر واحد من الأرض دون قتال.. وإن اضطررنا إلى التخلي عن شبر أرض واحد سوف نعاود المضي قدماً في أسرع وقت.. إننا فرحون لنصر «روميل»).

وكانت تلك المرة الأولى التي يذكر فيها «هتلر» اسم «روميل» علناً.. كانت حرب «هتلر» الاستعمارية قد وصلت في روسيا إلى نفق مسدود.. فاستغل نصر «روميل» لكي يلهي الناس عن الكوارث التي تحدث على الجبهة الشرقية.

وهنا يمكننا القول في أن «هتلر» و«جوبلز»[1] استغلا «روميل» وصوراه كبطل قومي.. وهو أيضاً لم يعارض ذلك إن جاز التعبير.

عودة روميل

وعندما وصل «روميل» من أفريقيا إلى مقر الكوبل الرئيسي.. كتب قائلاً: إلى زوجته «أو ليس رائعاً أن أستطيع العمل مع الفهرر لأجل الشعب والفكرة الجديدة».

(١) الدكتور جوزيف غوبلز ٢٩ أكتوبر ١٨٩٧ - ١ مايو ١٩٤٥ - وزير الدعاية السياسية في عهد أدولف هتلر وألمانيا النازية، وأحد أبرز أفراد حكومة هتلر لقدراته الخطابية.. تطوّع في الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى، تم رفضه لتسطّح أخمص قدميه. وفي عام ١٩٢٢، انضم بوبلز للحزب النازي. والطريف أنه كان من المعارضين لعضوية هتلر في الحزب عندما تقدم الأخير بطلب للعضوية إلا أنه غيّر وجهة نظره تجاه هتلر فيما بعد وأصبح من أنصاره بل وأحد موظفيه..لعب بوبلز دوراً مهماً في ترويج الفكر النازي لدى الشعب الألماني بطريقة ذكية. وقبيل إقدامه على الانتحار وفي الفصل الأخير من الحرب العالمية الثانية عينه هتلر ليكون مستشار ألمانيا كما اتّضح في وصية هتلر الخطيّة إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بوصيته بعد سقوط الرايخ الثالث. وفي ١ مايو ١٩٤٥، أقدم بوبلز على الانتحار مع زوجته وأطفاله الستة، وتراوحت أعمار أطفاله بين ٤ و١١ سنة.هو الذي قال: «كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسى» وفى رواية أخرى «كلمة ثقافة» صاحب آلة الدعاية النازية صور أدولف هتلر للألمانيين على أنه المنقذ لهم ولألمانيا بممارساته شكل فصلا دمويًا من فصول محاكم التفتيش في التاريخ.. ويعتبر الأساطير في مجال الحرب النفسية، وهو أحد أبرز من وظفوا واستثمروا وسائل الإعلام في هذه الحرب وهو صاحب شعار شهير يقول: «اكذب حتى يصدقك الناس» غير أنه كان صاحب الكذب الممنهج والمبرمج يعتمد الترويج لمنهج النازية وتطلعاتها، ويهدف لتحطيم الخصوم من الجانب الآخر وقد أكدت ظاهرة جوبلز هذه أن الذي يملك وسائل الإعلام يملك القول الفصل في الحروب الباردة والساخنة. وهذا ما ينتهجه الصهاينة أيضا..ويعتبر بناء على ذلك هو مؤسس فن الدعاية السياسية بلونها الرمادى،.واستطاع حينما كان يروج للفكر النازى بقوة أن يسوق في ركابه عشرات الملايين من الألمان، ورغم العداء الغربي للنازية، إلا أن جوبلز يعد مؤسس مدرسة إعلامية مستقلة بذاتها وقد لجأ إليها آخرون من بعده مثل الأمريكان والإسرائيليين رغم استغنائهم عن منصب وزير الإعلام.

يقلد الفهرر الجنرال الأعلى «روميل» وسام الفارس والوسام الحديدي.. وكان «روميل» في هذا التوقيت هو سادس ضابط يتلقى هذا الوسام رفيع الشأن.

روميل آخر من يعلم

في كل ذلك.. وفي هدوء كان «هتلر» يشن حرب إبادة[1] شاملة.. لم يكن «روميل» يعلم بأمر الحملة العرقية التي شنها «هتلر» خلف الجبهة.. فقد كان مسرح حربه بعيداً عما يجري في ألمانيا.

ولما علم «روميل» بالأمر.. رفض تقبل جنون «هتلر» العرقي.



(١) المقصود هو الهولوكوست.

العودة للجبهة

عاود روميل تقدمه في شهر مايو بنية الاستيلاء على طبرق.. واختار لقواته أن تتمركز في موقع «بير هاشم» جنوبي المواقع البريطانية في الغزالة.

وضمت المواقع البريطانية ثلاثة آلاف وستمائة جندي.. بعد أن ضمت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال «ديجول»[1] إلى البريطانيين.. وكان بينهم قوات أجنبية.

القوات الأجنبية

ضمت القوات الأجنبية المنضمة للبريطانيين جنوداً هولنديين ويوغسلافيين وصرب وكذلك كرواتيين وحتى ألمان ونمساويين.. لم يقبلوا بقرار «هتلر» بضم بلادهم إلى ألمانيا.. وهذا ما دفعهم إلى الانضمام إلى البريطانيين.

وصلت أخبار هذا القوات الأجنبية إلى «هتلر».. وفي التاسع من شهر يونيو تلقى «روميل» أمر الفهرر بمعاملة تلك القوات بقسوة كبيرة.

لاذ بالفرار ألفان وستمائة وتسعة عشر رجلاً من الفرنسيين الأحرار.. ووقع خمسمائة في الأسر.. ووفقاً لمعاهدة السلام التي أبرمت مع فرنسا تم اعتبار هؤلاء

(١) شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) جنرال ورجل سياسة فرنسي ولد في مدينة ليل الفرنسية. ، تخرج من المدرسة العسكرية سان سير عام ١٩١٢ من سلاح المشاة. ألف عدة كتب حول موضوع الإستراتيجية والتصور السياسي والعسكري. عين جنرال فرقة ، ونائبًا لكاتب الدولة للدفاع الوطني في يناير ١٩٤٠ قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانية وترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن في ١٨ يناير. وفي سنة ١٩٤٣ ترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والتي أصبحت في يونيو ١٩٤٤ تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية. أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة ، توفي في كولمبي لدو إغليز عام ١٩٧٠ .

جنود ميليشيات.. وكانوا مهددين بعقوبة الإعدام.

لا لإعدام الأسرى

وفي الحقيقة كان «روميل» مقتنعاً بأنه لا يجدر به إعدام الجنود الذين يقاتلون في حرب عادية.. ويلبسون ثيابهم العسكرية.. إلا أن «روميل» كان يخشى عمليات الثأر أيضاً.. وخشي أن يعامل أعداؤه الأسرى الألمان بالطريقة عينها. فقاوم روميل أمر الإعدام ورفض تنفيذه.

اختراق حصن طبرق

في العشرين من شهر يونيو عام ١٩٤٢ وفي الساعات الأولى من اليوم تمكنت قوة «روميل» من اختراق الجدار الخارجي لحصن طبرق وأصبح النصر في متناول يده.

لكن ردت القوات البريطانية بإطلاق النار.. فطلب «روميل» من أحد رجاله كان يدعى «شلوبن باخ» أن يذهب إليهم ويطلب منهم أن يستسلموا.. ويقول لهم أن طبرق استسلمت.. وبالطبع لم تكن تلك هي الحقيقة.. لكن على أى حال امتثل الرجل للأمر.. وذهب إليهم.. وأخذ يخاطبهم بما يتقنه من كلمات إنجليزية قليلة.. وقال لهم إن الحرب انتهت وعليهم الاستسلام.. بالطبع لم تكن لديهم أية نية للاستسلام.. فواصلوا إطلاق النار.. ورجع الرسول من حيث أتى ليجد «روميل» وجنوده قد رحلوا.

العقبة الأخيرة

قاد «روميل» جنوده بشراسة إلى الأمام ومع بزوغ الفجر كانوا قد أبادوا أشرس الدبابات التي كانت العقبة الأخيرة أمامهم وأصبح الطريق إلى حصن طبرق ممهدًا.

وفي الحادية عشرة والأربعين دقيقة صباحاً.. تمكن المهندسون الألمان من تعطيل

أشراك الـدبابات.. التـي كـان مـن المفـترض أن تعـوق تقـدم الـدبابات الألمانيـة إلى دفاعات طبرق الداخلية.. لتواصل الدبابات طريقها بسهولة.

أسباب سقوط طبرق

تحمل روميل ورجاله أربعة أسابيع متواصلة من المعارك الداخلية كُلِلت جميعها بالنجاح والتوفيق.

وأُذِيعَ الخبر في نشرة الأخبار في الحادية عشرة.. وتم ترقية «روميل» إلى منصب مارشال.



الحرب ما زالت مستمرة

قرر بعض الجنود ممن سمعوا الخبر في الراديو أن يزفوا البشرى إلى قائدهم.. فدخلوا عليه.. حيث وجدوه نائماً يغط في نوم عميق[1].. أيقظوه.. أعلموه بالأمر.. جلس في فراشه.. وقال لهم: شكراً جزيلاً لكن الحرب لا تزال مستمرة.

كان ذلك في الثاني من تشرين الأول من عام ١٩٤٢ لكن «روميل» كان لا يعتقد في قرارة نفسه أن النصر ممكن لألمانيا في شمال أفريقيا استسلام البريطانيين

في الساعات الأولى من يوم الحادي والعشرين من يونيو عام ١٩٤٢ استسلمت القوات البريطانية في حصن طبرق في ليبيا.. ووقع ثلاثة وثلاثون ألف بريطاني في الأسر.. ونتيجة لإنجازات «روميل» العسكرية قلده «هتلر» منصب مارشال .

كان المنتصرون يبتهلون فرحاً فيما غرق البريطانيون في اليأس. وعلى الجانب الآخر أمر الضباط البريطانيون جنودهم بالانضباط.. ثم أمروهم بتفجير معداتهم.

في نفس الوقت كان «تشرشل» [2] في واشنطن يقوم بزيارة إلى الرئيس

(١) من الأمور التى كانت معروفة عن روميل أنه كان باستطاعته أحيانا أن يستلقي في السيارة ويغط في نوم قصير لمدة عشر دقائق ويستيقظ نشيطاً.. ومن المفارقات الغريبة أن نفس الأمر كان معروفاً عن « نابليون بونابرت» الذى كان ينام على صهوة حصانه.

(٢) السير ونستون ليونارد سبنسر تشرشل (٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ - ٢٤ يناير ١٩٦٥ في لندن).ولد في قصر بلنهايم في محافظة أكسفوردشاير في إنجلترا. كَانَ رجلَ دولة إنجليزيَ وجنديَ ومُؤلفَ وخطيب مفوه. يعتبر أحد أهم الزعماءِ في التاريخِ البريطانيِ والعالميِ الحديثِ.. شغل ونستون تشرشل منصب رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٤٠ واستمر فية خلال الحرب العالمية الثانية وذلك بعد استقالة تشامبرلين. واستطاع رفع معنويات شعبه أثناء الحرب حيث كانت خطاباته إلهاماً عظيماً إلى قوات الحلفاء. كان أول من أشار بعلامة النصر بواسطة الأصبعين السبابة والوسطي. بعد=

روزفلت [1] وخلال أحاديثهما بلغ «تشرشل» أن طبرق سقطت بأيدي الألمان.

وكتب رئيس أركانه في مذكراته قائلاً:

للمرة الأولى رأيت رئيس الوزراء مضطرباً.. بعد فترة وجيزة قررت الولايات المتحدة المشاركة في النزاع الجاري في شمال أفريقيا وغادرت أول مواكب إمدادات الولايات المتحدة بعد عشر أيام فقط على سقوط طبرق.

كانت الإمدادات هي المفتاح الأساسي لنجاح أو فشل الحرب.. وكان واضحاً من خلال التقارير كمية الإمدادات والذخائر التي يتمتع بها البريطانيون.. ومقارنةً بكميات الإمدادات التي كانت تصل إلي القوات الألمانية.. كان متوقعاً أن القوات الألمانية لن تتمكن من الصمود للنهاية.

ملاحقة البريطانيين

بعد سقوط طبرق انسحب الجيش الثامن البريطاني ولم يعد أمام «روميل» خيار

=الحرب خسر الانتخابات سنة ١٩٤٥ وأصبحَ زعيمَ المعارضةِ ثم عاد إلي منصب رئيس الوزراء ثانيةً في ١٩٥١ وأخيراً تَقَاعد في ١٩٥٥ ..حصل علي جائزة نوبل في الأدب لسنة ١٩٥٣ للعديد مِنْ مؤلفاته في التاريخ الإنجليزي والعالمي وفي استطلاع لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) سنة ٢٠٠٢ اختير كواحدٍ من أعظم مائة شخصية بريطانية.. توفي في ٢٤ يناير عام ١٩٦٥ عن عمر يناهز ٩١ عاما. ودفن في مقبرة العائلة، قرب مكان ولادته في مدينة وودستوك.

(١) فرانكلين ديلانو روزفلت (Franklin Delano Roosevelt) (٣٠ يناير ١٨٨٢ - ١٢ أبريل ١٩٤٥)، وهو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثاني والثلاثون، وكان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي. شغل منصب حاكم ولاية نيويورك مابين ١ يناير من سنة ١٩٢٩ إلى ٣١ يناير من سنة ١٩٣٢ . تولى روزفلت منصب رئيس الولايات المتحدة من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٣ إلى ١٢ أبريل ١٩٤٥ وذلك لأنه أعيد انتخابه أربع مرات متتالية، إذ توفي في العام الأول من ولايته الرابعة.صنف من أعظم ثلاث رؤساء لأمريكا. عاصر الحرب العالمية الثانية حيث قاد الحلفاء إلى النصر على الرغم من إصابته بالشلل . يعد من أعضاء المنظمة السرية الماسونية يحمل درجة رقم ٣٢ وكذلك ترتيبه كرئيس للولايات المتحدة .

سوى استغلال التقدم الذي أصبح يتمتع به.. فإن كان يريد أن يهزم البريطانيين فسيكون عليه أن يلاحقهم.. وأصدر أمر بالتقدم إلى مصر حيث يتمركز جليمن.

وكان روميل يتمتع بقدرة فطرية على المطاردة.. وهذه القدرة هي التي أدت إلى عدم ترك عدوه في سلام.. فظل يلاحقه في كل الظروف.. ولم يكن ينتظر وصول الإمدادات.

واستمر تقدم القوات بعد عبور مضيق حلفاية وجنوبي مرسى مطروح.. وهناك تمكن من إلحاق خسائر فادحة بالبريطانيين وإجبارهم على الانسحاب مجدداً.

سقوط مرسى مطروح

انسحب البريطانيون على الطريق الساحل باتجاه مصر.. في التاسع والعشرين من يونيو سقطت مرسى مطروح وبقيت مسافة مائة وخمسين كيلو متراً إلى الإسكندرية حيث بدأت البحرية الملكية البريطانية بإخلاء الميناء.

وفي القاهرة كان الموظفون في مقر القيادة البريطانية يحرقون مستنداتهم.. وفي نفس اليوم وصل موسيليني إلى ليبيا ولم يشأ أن يفوت استعراض النصر الألماني الإيطالي في الإسكندرية.

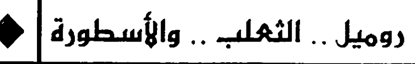
في اليوم التالي تم عقد مؤتمر صحفي وعلى الرغم من أن الوضع في شمال أفريقيا كان ميئوساً منه إلا أن «روميل» بدا متفائلاً وقال:

نحن اليوم على مسافة مائة كيلو متر من الإسكندرية وبوابة قاهرة مصر في متناول أيدينا ونحن نعتزم تحقيق النجاح وفي تلك الأثناء كان مونتجمري يتهيأ للمعركة الحاسمة.

واعتقد الجميع أن «روميل» سوف يربح الحرب فما كان عليه إلا أن يبلغ القاهرة

فقط لتحقيق النصر.. ووفقاً لتقارير السياسيين المصريين أنهم كانوا يستعدون لتشكيل حكومة جديدة ستكون تحت تصرف قوات الحلفاء.. وكان البريطانيون في القاهرة قد بدءوا بالانسحاب بعدما خسروا في معركة مرسى مطروح.





الفصل الثالث

العلمين
نقطة تحول !!




العلمين[1] منطقة حدودية.. صحراوية تقع بين مصر.. وليبيا..

قبل الحرب العالمية الثاني.. وقبل أن تطؤها أقدام روميل.. كان لا يسمع أحدُ عنها.. حتى أهل مصر أنفسهم.. كان نادراً ما يسمعُ باسمها أحدٌ..

لكن بين يومٍ.. وليلة تردد اسمها ملايين المرات يومياً على مستوى العالم .. في مختلف وسائل الإعلام المعروفة عالمياً آنذاك.. وكانت محصورة فقط في الصحف.. والإذاعة..

وصفها مراسل صحفي بريطاني وقتها لصحيفته بقوله:

«إنها محطة سكة حديد صغيرة في وسط أميال وأميال من الصحراء.. نقطة صغيرة على الخريطة عند الشاطئ تحمل اسم العلمين.. لم أدرك حينها الشهرة التي سوف يكتسبها هذا الموقع».

وهكذا أصبحت «العلمين» أهم نقطة تحول كبيرة في حرب شمال أفريقيا وفي مهمة «روميل» العسكرية..

فكيف دارت أحداث معركة روميل الأخيرة بها.

(١) هي بلدة مصرية تقع عند الكيلو ١٠٦ من طريق الإسكندرية - مرسي مطروح، ويبلغ عدد سكانها قرابة ٣٠٠٠ نسمة وهي حاضرة مركز العلمين التابع إداريًا لمحافظة مطروح وتتبعها قريتي سيدي عبد الرحمن وتل العيس. كانت قرية صغير غير مشهورة، مزروعة بالنخيل وشجر الزيتون قبل بدايه العمران.. اشتهرت مع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ م. حيث دارت علي أرضها أهم معركة بين جيوش المحور بقيادة روميل وجيوش الحلفاء بقيادة مونتجمري، ويوجد بها مقابر الكومنولث في حيث يوجد بها مدافن ونصب تذكارية تخليدا لذكري ضحايا المعركة من مختلف الجنسيات. كما يوجد بها كنيسة وجامع ومتحف صغير. النصب التذكاري الألماني بها به مقابر جماعية من الجرانيت تضم رفات حوالي ٤٢٨٠ مقاتل ويحتوي علي مسلة فرعونية ولوحة تمثل أحداث الحرب.

نتابع الأحداث..

خط الدفاع الأخير

على بعد مائة متر من بوابات الإسكندرية ابتكر الجنرال القائد الأعلى للجيش البريطاني في الشرق الأوسط خط الدفاع الأخير.. كانت تلك النقطة الأضيق بين الساحل ومنخفض القطارة وكان على وحدات الدبابات أن تعبر ذلك المحيط.

وعندما وصل إلى العلمين.. أدرك مع رؤيته للدبابات والسيارات القليلة التي بقيت معه.. بالإضافة لحالة الإرهاق الشديدة التي أصابت جنوده أنه لن يتمكن من الاستمرار على هذا النحو.

السلاح الجوي

وفي الوقت نفسه حقق الطيارون التفوق الجوي للمرة الأولى في شمال أفريقيا وكانت طائراتهم قريبة منهم ونظام الإمدادات الذي اتبعوه يعمل بشكل جيد.

وكان التفوق الجوي لصالح الحلفاء.. وكانت تلك نقطة التحول التي زودت الحلفاء بالشجاعة الكافية للاستمرار وعدم التوقف.

وانقلب مجرى الحرب على الأرض.. فقد أدى القتال العنيف في العلمين إلى صد تقدم «روميل» في بداية شهر يوليو من عام ١٩٤٤.

وأصبح موقف «روميل» في العلمين أكثر دقة وحرجاً يوماً بعد يوم ففي الثامن عشر من يوليو ١٩٤٢ كتب «روميل» إلى زوجته رسالة يقول فيها:

(لن أستطيع الاستمرار على هذا النحو وإلا سوف تنهار الجبهة بالكامل إنها أصعب أيام لي.. أنا متفائل بطبعي لكن بعض الأماكن مظلمة كليّاً.. المخلص «روميل»).

وما عاد «روميل» الآن يتحلى بالثقة إلا أمام عدسات الكاميرا .

في الثامن من شهر أغسطس في العام ١٩٤٢ زار «تشرشل» الجنود البريطانيين في شمال أفريقيا وكان برفقته الجنرال «مايكل كارب» الذي عرف بقيادته وشدته.

عملية ألترا[١]

وفي بلاتشي بار كانت المخابرات السرية البريطانية تحاول اختراق الشفرات الألمانية منذ سنوات كانت تلك عملية ألترا.

ولم تتمكن من قراءة الشفرات العسكرية إلا في النصف الثاني من عام ١٩٤٢ ولم يكن بوسعهم في البداية أن يقرؤها بدقة.. ثم تمكنوا في النهاية من ذلك.

وكان الألمان يظنون أن شفرتهم لا تزال أمينة ولم يدركوا أن المخابرات البريطانية تطلع على جميع مراسلاتهم وكان مونتجمري[٢] أول القادة الذين استغلوا هذا السلاح الجديد فقد كان يطلع على جميع مخططات «روميل» وكان مونتجمري يقضي وقتاً طويلاً في تحليل أفكار غريمه.

وكان ذكياً جدّاً في إقامة العلاقات العامة.. واعتنى عناية كبيرة بإقامة علاقات

---

(١) ألترا (Ultra) هو اسم استخدم من قبل بريطانيا للإشارة إلى نتائج الاستخبارات لعملية فك تلك العملية الشيفرة السرية للاتصالات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية. يطلق هذا الاسم بسبب اعتبار أن نجاح من أعلى تصنيف للعمليات .

(٢) برنارد مونتجمري (١٧ نوفمبر ١٨٨٧ - ٢٤ مارس ١٩٧٦) كان مشيراً في الجيش البريطاني استطاع قيادة قوات الحلفاء إلى الانتصار في معركة علم حلفا وفي معركة العلمين الثانية عام ١٩٤٢ وتحقيق النصر على قوات المحور بقيادة ثعلب الصحراء إرفن روميل خلال معارك الحرب العالمية الثانية وعمومًا يرجع له الفضل في هزيمة قوات المحور في شمال إفريقيا كله وبعد ذلك انتقل لقيادة الجبهة في إيطاليا وشمال غرب أوروبا وكان من قادة الحلفاء في معركة النورماندي التي نزل فيها الحلفاء إلى أوروبا لمواجهة القوات النازية والتقدم نحو برلين.

عامة متينة.. وهذا أمر بالغ الأهمية للجنرال إذ عليه أن يحظى بدعم عام.

ومع كل يوم يمر كان البريطانيون يكتسبون قوة زائدة .. وكان روميل يقول: «لو أردنا أن نحقق أي تقدم فعلينا أن نحققه في أسرع وقت ممكن قبل أن يبدأ البريطانيون هجومهم».

الوضع يزداد سوءاً

لم يتحسن وضع «روميل» .. فعلى صعيد الإمدادات كان بحاجة إلى أشياء كثيرة كقطع الغيار والذخيرة.. فضلاً عن المشكلة الأكبر التى تمثلت في النقص الكبير في الوقود بسبب إغراق البريطانيين لحاملة نفط إيطالية مما شل حركة تقدم الدبابات.

وبالنسبة لقوات المحور كان أقرب ميناء هو ميناء طبرق يبتعد عنها أكثر من ٥٩٠ كم عن الجبهة.. وكانت المشكلة أن ميناء طبرق ذو طاقة استيعابية صغيرة.. ولذلك كان كثيراً ما كان التفريغ يتم في ميناء بنغازي الذي يبعد أكثر من ١٠٥٠ كم عن الجبهة.. ناهيك عن أن قوافل السفن الإيطالية التي تحمل إمدادات المحور كانت تتعرض للغارات من جزيرة مالطة.

على العكس من ذلك بالنسبة للحلفاء كان ميناء الإسكندرية يبعد حوالي ١١٠ كم عن الجبهة.. وكان ميناء السويس يبعد حوالي ٣٤٥ كم. ولذلك لم تكن للحلفاء مشاكل تذكر في نقل إمداداتهم سوى في المدة الزمنية حيث يتم نقل جزء كبير منها عبر رأس الرجاء الصالح.

- في حين أخذ «هتلر» و«موسيليني» يحثانه على مواصلة الهجوم لكنه كان متردداً.. وحتى على المستوى الشخصي بدأ يشعر بالضعف.. فقد كان في حالة سيئة آنذاك.. وبدا للجميع دوماً مرهقاً.. ومتعبًا جداً.. وغالباً ما كان يرفض تناول الطعام.. لقد

كان عمله في الجيش يشغل تفكيره عن أي شيء آخر.

فحص طبي

وفي الرابع والعشرين من أغسطس عام ٤٢ خضع «روميل» لفحص طبي في مستشفى الجيش بمرسى مطروح.. وكان قد طلب أجازة من «هتلر» بعد كتب طبيبه المعالج في تقريره أن حالته الراهنة ناتجة عن إرهاق جسدي ونفسي.

لم يملك «روميل» أي خيار فقد كانت حالته الصحية في تدهور ومع ذلك كان عليه القيام بالهجوم الأخير.. وفي الصباح الذي سبق الهجوم قال لطبيبه إن القرار الذي سأتخذه اليوم لشن الهجوم هو الأصعب في حياتي.. إما النجاح.. وإما الفشل..

وفي الثلاثين من أغسطس عام ١٩٤٢ اتخذت فرق «روميل» مواقعها القتالية وكان مونتجمري يعرف تفاصيل الخطة من خلال نظام الألترا.

لذا كانت القوات البريطانية تتوقع مجيئه.. وعلى علم مسبق بكل تحركاته.. وكان كل شيء جاهزاً للتصدي له.. وسار كل شيء وفقاً للخطة.. حيث قام البريطانيون بذرع ألغاماً جديدة شمالي منطقة الحمامات فأعاقت هجوم الألمان أطول مدة ممكنة.

الهجوم الأخير

وبدأ هجوم «روميل» الأخير في المساء وسار جنوده إلى حتفهم.. وجاءت تعليمات الخطة للقوات البريطانية كالتالي:

أولاً : السماح للقوات الألمانية بالمرور.. واختراق دفاعاتهم دون إطلاق النار عليهم.

ثانياً: بمجرد عبور فرقة المشاة والسيارات والذخائر.. يتم تطويقهم.. وإبادتهم.

وعندما بدأ تقدم الألمان في خمسين دبابة تقريباً ومن وراءهم المشاة.. وتمكنت القوات البريطانية من الانقضاض عليهم وإبادتهم.

معركة علم حلفا

وقعت هذه المعركة جنوب قرية العلمين في مصر في الفترة ٣١ أغسطس إلى ٧ سبتمبر ١٩٤٢ وانتهت بانتصار الجيش الألماني.

بعد أن فشل روميل في إلحاق الهزيمة بالقوات البريطانية في معركة العلمين الأولى في يوليو عام ١٩٤٢ كان عليه أن يعد العدة لمحاولة هزيمتهم مرة أخرى.. وكان عليه أن ينتظر حتى تكون قواته مستعدة تماماً لشن الهجوم.

لكن روميل كان يتوقع أن البريطانيين يزيدون من قوتهم.. وقد قدّر أن الحلفاء يحتاجون إلى شهرين أو ثلاثة بعد سقوط طبرق في ٢١ يونيو ١٩٤٢ حتى يكملوا شحن الإمدادات اللازمة لقهر قوات المحور.. وعندها تكون مهمة المحور أصعب بكثير.. ولذلك كان من الضروري مهاجمة البريطانيين قبل منتصف سبتمبر.

وفي أوائل أغسطس كان رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل قد عزل القائد البريطاني كلود أوكنلك[1] من قيادة الجيش الثامن وقوات الشرق الأوسط..

(١) كلود أوكنلك ولد في ٢١ يونيو ١٨٨٤ وتوفي في ٢٣ مارس ١٩٨١، وقائد بريطاني من الحرب العالمية الثانية.. عندما غزا الألمان النرويج في أبريل ١٩٤٠، عمل أوكنلك قائداً عاماً للقوات البريطانية، وبعد أن صار وضعها هناك ميئوسا منه، كُلّف أوكنلك بمهمة إجلاء القوات البريطانية من هناك، وبعد ذلك عين قائداً عاماً في الهند. وفي ٢١ يونيو ١٩٤١ عُيِّنَ قائداً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط خلفاً للقائد البريطاني أرشيبالد ويفل وفي ذلك الوقت كانت المهمة الأساسية لتلك القوات انحصرت في إلحاق الهزيمة بقوات المحور في شمال أفريقيا بقيادة إيرون روميل. في ١٨ نوفمبر من ذلك العام بدأ الجيش الثامن البريطاني تنفيذ أول الهجمات الكبيرة ضد تلك القوات المسماة عملية الصليبي، ونجح في دفعها إلى الوراء حتى مرسى البريقة، إلاّ أن روميل شن هجوماً=

وأحل محله هارولد ألكسندر[1] في قيادة قوات الشرق الأوسط و برنارد مونتجمري في قيادة الجيش الثامن.

يتفق رأي الجانب البريطاني في أن فرصة نجاح هجوم روميل تتضاءل كلما تأخر هذا الهجوم.. حيث قال هارولد ألكسندر لمونتجمري قبل المعركة:

«فإذا ما أسرع روميل في هجومه فنحن في خطر.. أما إذا تباطأ أسبوعين فسيلقى حتفه».

=جديداً في ٢١ يناير ١٩٤٢ تقدمت به قواته حتى التميمي. وفي ٢٦ مايو ١٩٤٢ شن رومل هجومه الجديد الذي عرف باسم معركة عين الغزالة وكان يقود الجيش الثامن آنذاك القائد البريطاني نيل ريتشي، وكانت نتيجة الهجوم انتصار قوات روميل واستيلاءها على طبرق، مما حدا بأوكنلك إلى عزل ريتشي في ٢٥ يونيو، وتولى قيادة الجيش الثامن بنفسه، واستطاع أوكنلك أن يوقف تقدم روميل عند قرية العلمين فيما عرف باسم معركة العلمين الأولى، ورغم ذلك فإن رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل عزله من منصبه في أغسطس من نفس العام، وعين هارولد ألكسندر قائداً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، وعين برنارد مونتجمري قائداً للجيش الثامن، أما أوكنلك فقد عاد إلى الهند في عام ١٩٤٣، وبقي هناك حتى عام ١٩٤٧. توفي أوكنلك في مراكش في المغرب عام ١٩٨١.

(١) هارولد ألكسندر (Harold Alexander) ولد في ١٠ ديسمبر ١٨٩١ وتوفي في ١٦ يونيو ١٩٦٩ قائد بريطاني من الحرب العالمية الثانية.. عمل أثناء معركة فرنسا عام ١٩٤٠ قائداً لإحدى الفرق البريطانية. ثم انتقل عام ١٩٤٢ إلى بورما. في أغسطس ١٩٤٢ عُيّن قائداً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، وعمل على مساعدة مرؤوسه القائد برنارد مونتغمري قائد الجيش الثامن البريطاني على صد هجوم القائد الألماني إيرون رومل في معركة علم حلفا، ثم إلحاق الهزيمة بروميل في معركة العلمين الثانية، ثم التقدم إلى تونس، والاتصال بقوات الحلفاء المهاجمة من المغرب والجزائر، ثم تولى في يناير ١٩٤٣ قيادة مجموعة الجيوش الثامنة عشر التي تشمل كل قوات الحلفاء في تونس، بالإضافة إلى كونه نائباً للقائد الأعلى لقوات الحلفاء القائد دوايت أيزنهاور، واستمر في قيادته لتلك المجموعة حتى نهاية الحملة في أفريقيا بانتصار الحلفاء في ١٣ مايو ١٩٤٣ .توفي في سلف Slough في بريطانيا عام ١٩٦٩.

إزاء هذه المعطيات التقى روميل مع أوجو كافاليرو Cavallero رئيس القيادة العليا الإيطالية.. وألبرت كسلرنج قائد القوات الألمانية في جبهة البحر المتوسط في ٢٧ أغسطس حيث قال روميل أن المعركة تعتمد على الإيصال السريع للوقود.. وقد ضمن كافاليرو وكسلرنج إيصال ٦٠٠٠ طن من الوقود.. حتى أن كافاليرو قال:

«يمكن أن تبدأ المعركة الآن ...الوقود هو أصلاً في الطريق».

التخطيط

كانت خطة روميل تقضي القيام بهجوم تضليلي في الشمال على يد الفيلقين العاشر.. والحادي والعشرين الإيطاليين.. في حين يتحول الهجوم الرئيسي لحركة التفافية في الجنوب بواسطة الفيلق الأفريقي الألماني والفيلق العشرين الإيطالي.. ثم الاتجاه شمالاً نحو علم حلفا ثم الاتجاه إلى الإسكندرية (وهي خطة مشابهة لتلك التي استخدمت في معركة عين الغزالة).

في المقابل كان لدى مونتجمري وهيئة أركانه فكرة عن خطة روميل حيث أنهم قاموا بتسريب خريطة زائفة إلى روميل حول المواقع البريطانية.

أما روميل فقد اكتشف بعد أيام من الهجوم أن القيادة البريطانية كانت تعلم بقراره للهجوم قبل وقوعه بواسطة ضابط إيطالي كبير.. وقد عرف روميل ذلك من بعض الأسرى البريطانيين.

سير المعركة

في الساعة الثانية من فجر يوم ٣١ أغسطس بدأت قوات المحور الهجوم والوصول إلى أول حقل ألغام بريطاني. ثم توقف الهجوم بعد ساعات لنقص

الوقود.. ناهيك عن كثافة حقول الألغام.. وقد علم روميل بنبأ مقتل فون بسمارك von Bismarck قائد إحدى الفرق.. وبنبأ إصابة والتر نهرنج Nehring قائد الفيلق الأفريقي. بعدها تم استئناف الهجوم في الساعة الواحدة بعد الظهر بعد إعادة التزود بالوقود.

في ١ سبتمبر أحبطت قوات روميل محاولة اللواء البريطاني الثامن للاتصال باللواء البريطاني الثاني والعشرين.. ومع ذلك اضطر روميل لإيقاف الهجوم ثانية بسبب كثافة حقول الألغام.. وبسب نقص الوقود.

في ٢ سبتمبر انسحبت قوات روميل من خط الطاقة - باب القطارة بسبب مشكلة الوقود والتفوق الجوي.

يومي ٣ و٤ سبتمبر حقق النيوزيلنديون أهدافهم رغم مقاومة قوات المحور الشديدة.

استمر القتال حتى اليومين التاليين ثم توقف القتال صباح يوم ٧ سبتمبر.

أسباب الهزيمة

في مذكراته يعلل روميل أسباب إخفاق الهجوم الذي قامت به قوات المحور إلى السباب التالية:

- المواقع البريطانية الجنوبية كانت مواقع قوية عكس تقارير فرق الاستطلاع لدى روميل.

- السيطرة الجوية للقوات البريطانية.

- عدم وصول الوقود الذي كان أساسياً لنجاح الخطة حيث غرقت بعض السفن التي وعد بها كافاليرو.. كما لم يتمكن كسلرنج من الإيفاء بوعده بإرسال

٥٠٠ طن يومياً إلى الجبهة يقول القائد الألماني ويستفال أن كسلرنج أرسل هذه الكمية فعلاً إلاّ أنها استهلكت في الطريق.

بعد المعركة

كان فشل روميل في إلحاق الهزيمة بالبريطانيين كبيراً لدرجة أنه خسر زمام المبادرة لصالحهم.. ولم يكن أمامه سوى انتظار الهجوم البريطاني التالي.. وهو الذي عُرف لاحقاً باسم معركة العلمين الثانية.

في ٢٣ سبتمبر غادر روميل أفريقيا إلى ألمانيا لتلقي العلاج لمعاناته من عدة مشاكل صحية.. تاركاً ورائه فون شتومه von Stumme قائداً لقوات المحور. ولم يعد روميل إلى الجبهة إلاّ بعد بدء معركة العلمين الثانية.



معركة العلمين الثانية

كانت العلمين من أهم معارك الدبابات على مدار التاريخ خاصةً أنها جاءت بعد سلسلة من انتصارات القوات الألمانية في معارك الصحراء..

وبعد أن فشل روميل في اختراق الخطوط البريطانية في معركة علم حلفا لم يكن أمامه ما يفعله سوى انتظار الهجوم البريطاني التالي على أمل أن يقوم بصده على الأقل.

ويمكننا رصد أهم يومين في تلك المعركة بأحداثهما على النحو التالى:

- يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٤٢ سافر روميل إلى ألمانيا لتلقي العلاج.. تاركاً وراءه جورج فون شتومه قائداً لقوات المحور في شمال أفريقيا.

- ٢٤ سبتمبر أثناء طريق العودة.. التقى روميل بالزعيم الإيطالي بينيتو موسوليني.. وشرح له مشاكل الإمدادات في الجبهة.. وأنه إن لم تصل الإمدادات إلى المستوى المطلوب فسيضطرون للتخلي عن شمال أفريقيا.. إلا أن موسوليني بدا عليه[١] عدم تقديره لخطورة الوضع.

أما بالنسبة للبريطانيين فقد استمروا في تعزيز موقفهم.. واستمروا في تلقي الإمدادات من بريطانيا والولايات المتحدة.. ولم يكن على هارولد ألكسندر.. قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط.. وبرنارد مونتجمري.. قائد الجيش الثامن البريطاني.. سوى اختيار الوقت الذي يناسبهم للهجوم.

(١) وفقاً لما جاء بالنص في مذكرات روميل..

التفوق لصالح القوات البريطانية

إجمالاً كان البريطانيون متفوقين في كل المجالات على قوات المحور.. وهو وضع لا يشبه الوضع في معركة عين الغزالة حيث كانت قدرات الطرفين متكافئة.. ويمكن استعراض قوات الجانبين في معركة العلمين كما يلي:

- ١٩٥ ألف جندي بريطاني وحليف.. مقابل ١٠٤ ألف جندي محوري.
- ١٠٢٩ دبابة للبريطانيين مقابل ٤٨٩ للمحور.
- ٢٣١١ مدفع للبريطانيين مقابل ١٢١٩ للمحور.
- ٧٥٠ طائرة للبريطانيين مقابل ٦٧٥ للمحور.

إضافة إلى ذلك كان طريق الإمدادات قصيرًا بالنسبة للبريطانيين.. حيث كان ميناء الإسكندرية كما قلنا يبعد حوالي ١١٠ كم.. وميناء السويس حوالي ٣٤٥ كم عن الجبهة.

أما بالنسبة للمحور فإن أقرب ميناء وهو طبرق يبعد أكثر من ٥٩٠ كم عن الجبهة.. كما يبعد ميناء بنغازي أكثر من ١٠٥٠ كم.. ويبعد ميناء طرابلس أكثر من ٢١٠٠ كم.

أضف إلى كل ذلك أن طريق الإمدادات بالنسبة لقوات المحور يتعرض للغارات من جزيرة مالطة.. ومن الفدائيين في الصحراء.

كيف دارت المعركة

في الحادي والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤٢ كان لدى مونتجمري مائة ألف جندي وأكثر من ألف دبابة وألف وخمسون طائرة مقاتلة تحت تصرفه كانت هذه القوة تساوي ثلاثة أضعاف قوة الألمان والإيطاليين.

قال مونتجمري قبل المعركة:

معركتنا هذه ستكون نقطة التحول في الحرب الكبيرة قبل ستة أشهر تمكن الروس من هزيمة العدو وكانت تلك نقطة تحول كبيرة لكن على صعيد المعارك أعتقد أن معركة العلمين ستكون نقطة التحول في الحرب.

ودارت الأحداث بالشكل التالي:

- في الساعة ٢١,٢٥ من ليل يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ بدأ البريطانيون الهجوم بقصف مدفعي.

- وفي يوم ٢٤ أكتوبر توفى القائد الألماني فون شتومه بأزمة قلبية مفاجئة.. وتولى القائد الألماني ريتر فون توما قائد الفيلق الأفريقي مهمة قيادة قوات المحور لحين وصول روميل.

- مساء يوم ٢٦ أكتوبر وصل روميل إلى الجبهة بعد رحلة طويلة.. وحاول قدر الإمكان الحفاظ على الجبهة متماسكة.

- في ليلة ٣٠-٣١ أكتوبر شنت الفرقة الاسترالية التاسعة هجوماً ينجح في عزل فرقة المشاة ١٦٤ الألمانية.. ودفع روميل بقواته بغرض تحرير تلك الفرقة.. ونجح بالفعل في ذلك في نفس يوم ٣١ أكتوبر ولكن مع وجود خسائر كبيرة.

وفي المقابل كان مونتجمري يتعرض لضغوط من رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل لعجزه عن تحقيق نصر سريع.. ومع ذلك أعطى مونتجمري الجنود راحة استمرت ٢٤ ساعة انتهت في ليلة ١-٢ نوفمبر.

هجوم تل العقاقير

في تلك الليلة شن مونتجمري هجومه عبر تل العقاقير جنوب سيدي

عبد الرحمن.. ولم تستطع قوات المحور صد الهجوم.. وأدرك روميل أن المعركة حُسِمَتْ نهائياً لصالح البريطانيين.

بين الصمود والانسحاب

- صباح يوم ٢ نوفمبر وصلت إلى روميل رسالة لاسلكية من هتلر تأمره بالصمود حتى النهاية.. ويبدو أن روميل لم يكن متأكداً أن هتلر هو صاحب الرسالة.. فأمر قواته بالانسحاب.

- في ٣ نوفمبر وصل النص غير المشفر لرسالة هتلر الأصلية المطالبة بالصمود.. ورغم تفوق القوات البريطانية.. فإن رومل قرر إطاعة أوامر هتلر ولو لبعض الوقت.

- في ٤ نوفمبر لم يعد رومل قادراً على تنفيذ أمر هتلر.. فبدأ الانسحاب إلى فوكة في الغرب.. وكان قد خسر ما بين عصر ٣ نوفمبر.. وعصر ٤ نوفمبر حوالي ٢٠٠ دبابة.

- يوم ٤ نوفمبر التقى روميل بالقائد الألماني ألبرت كسلرنج.. قائد القوات الألمانية في جبهة البحر المتوسط وأكد له صواب رأيه بالانسحاب.. وفي هذا اليوم أيضاً فقد روميل الاتصال بفون توما قائد الفيلق الأفريقي.. وسرى اعتقاد بأنه قتل.. لكنه في الواقع وقع في الأسر.

- في ٥ نوفمبر حاول روميل إقامة خط دفاعي في فوكة كتمهيد لانسحابه نحو ليبيا.

- في ٦ نوفمبر أصبح هطول أمطار يعوق التقدم البريطاني.. بينما تمكنت قوات المحور من استغلال ذلك في الانسحاب.

- في ٧ نوفمبر حاولت قوات المحور التوقف في مرسى مطروح.. وفي نفس اليوم تصل رسالة من هتلر تحذر روميل باحتمال قيام الحلفاء الغربيين بإنزال ما بين طبرق وبنغازي.

- في ٨ نوفمبر وصلت لروميل أخبار تؤكد أن تلك المخاوف لا أساس لها.. لكنه علم أن الحلفاء قاموا بالإنزال في المغرب والجزائر[1] ولذلك قرر روميل أن أفضل ما يفعله في الوقت الحالي هو الانسحاب إلى العقيلة.

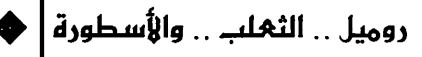
انتهت المطاردة التي بدأها الجيش الثامن بعد معركة العلمين لقوات المحور من العلمين تقريباً في مدينة مدنين في تونس بعد أن قطعت القوات المتحاربة حوالي ٢٣٠٠ كم.

وكانت حملة تونس هي آخر المعارك الحاسمة في أفريقيا.. وهي التي أنهت وجود قوات المحور فيها.

بعد ثلاثة أيام اضطر «روميل» إلى التوقف.. بعد أن انتهى كل شيء وخيمت أجواء الحزن في مقر القيادة الألمانية.



(١) فيما عُرِفِ بعد ذلك بعملية الشعلة.. أو عملية المشعل (Operation Torch) .



الفصل الرابع

روميل بين معركتي العلمين .. وموقفه من هتلر والقيادة الألمانية!!

عندما غادر «روميل» إفريقيا في الثالث والعشرين من سبتمبر بين المعركتين كان من المفترض أنه ذاهب إلى ألمانيا لتلقى العلاج .. وبعد تعافيه أراد «هتلر» أن يرسله إلى الجبهة الشرقية فردَ «روميل» أنه في حال اندلاع القتال سوف يوقف علاجه ويتوجه إلى أفريقيا.

وبعد ستة أيام وصل «روميل» إلى برلين حيث أراد «هتلر» أن يسلمه عصا المارشال شخصياً وعرض عليه وزير الدعاية غرفة في منزله وفي برلين أصبح من الصعب التغاضي عن الجرائم الفظيعة التي يرتكبها النظام ولم يستطيع «روميل» التغاضي عنها

بعدها بعدة أيام اتصل الفهرر شخصياً يطلب المرشال «روميل» وطلب منه أن يقوم بالذهاب إلى فينا ليستقل طائرة إلى نابولي ومن ثم إلى إفريقيا.

بعد ٢٤ ساعة كان «روميل» قد عاد إلى أفريقيا حيث كانت القوة البريطانية تهاجم الدفاعات بشكل مستمر.. وقام العقيد المسئول قائد ضباط الأركان بمقابلة روميل وأخبره بأن البريطانيين اخترقوا دفاعات الفرقة مائة وخمسة وعشرين مجدداً فماذا يفعل؟

فأمره «روميل» بتهيئة الجيش للرحيل لأنه يريد قيادتهم وفق خطة معينة.. وعندما قال له ضباطه إننا سنكون جاهزين غداً صباحاً في تمام السادسة قال «روميل» لا بل الليلة الحادية عشرة.. وكانت الساعة وقتها التاسعة والربع.

عندما صاح هتلر: خيانة.

تلقى مكتب هتلر برقية من المارشال «روميل» من أرض المعركة يخبره فيها بأنه بدأ الانسحاب .. وكانت البرقية على مكتب هتلر في الصباح.. وعندما علم «هتلر» بأن الانسحاب هو مضمون الرسالة صرخ غاضباً: «خيانة » فقد ظن أنه لو علم

بالخبر على الفور لتمكن من إيقاف خطة «روميل».

النصر أو الموت

وفي تمام الساعة الثانية عصر اليوم الرابع من تشرين الثاني تلقى «روميل» برقية من مقر قيادة «هتلر» يأمره بإيقاف الانسحاب والصمود وكانت فحوى الرسالة : «لا يمكنك أن تقود رجالك إلا إلى النصر وإلا إلى الموت».

عندما جاء الأمر من «هتلر» الذي يقضي يطالبه فيه بالصمود في موقعة العلمين حتى آخر رجل كان «روميل» يقف بجانب سيارة القيادة.. وعندما سلمه مبعوث «هتلر» البرقية قرأها بنفسه.. ثم صرخ قائلاً بغضب:

ما كنت لأحلم بذلك.. ما كنت لأحلم بذلك.. لن أضحي بالجيش كله هنا في العلمين.

إلا أن «روميل» انصاع للأمر وأوقف الانسحاب وكتب لاحقاً شعرنا جميعنا بأننا تلقينا ضربة قاسية فللمرة الأولى خلال الحملة الأفريقية لا أعرف ما ينبغي علي فعله.

وأصبحت تصرفاته آنذاك مضطربة إلى درجة كبيرة.. وأصبح يشك بالآخرين.. كان يأتي على ذكر أشخاص كثيرين ظن أنهم يضللون «هتلر» كهملر وجورن وكايزل.. وعندما كانت البرقيات تصله قائلةً: إن الإمدادات في طريقها إليك.. كان يعلم أن ذلك كذب.. كان يكرر هذه الاتهامات خلال زيارته الأخيرة إلى «هتلر».. لذا شعر بأن الأمور خرجت عن حدود السيطرة في أعلى مستويات الحكم.. كان شيئاً فظيعاً وقاسياً بالنسبة له.

وبدأت الشائعات تنتشر بين جنود «هتلر» البالغ عددهم نحو مائة ألف رجل عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم ويفتقرون إلى الذخائر والوقود مما سيجعلهم

عاجزين تماماً عن القتال وهو يأمرهم بالصمود لكي يلقوا مصرعهم جميعاً .

روميل يتحدى هتلر

تردد «روميل» مدة ٢٤ ساعة ومن ثم أصدر أمره بمتابعة الانسحاب متحدياً أوامر «هتلر» الصريحة وكتب لزوجته يقول : (إن مصيرنا في يد الله وحده.. وعسى أن تكوني وأنتينا[1] بخير... المخلص «روميل»).

وذات مرة أخرى كتب لها يقول:

«ماذا سيحصل لو خسرنا الحرب في شمال أفريقيا.. كيف ستكون نهاية الحرب؟ ليتني أستطيع التوقف عن التفكير في هذه الأمور.

دام الانسحاب خمسين يوماً قاد «روميل» خلالها قواته مسافة تزيد عن ألف وثمانمائة كيلو متر وصولاً إلى تونس دون أن يتكبد خسائر تذكر.

أثبت ثعلب الصحراء براعته للجميع للمرة الأخيرة.. فما عاد يؤمن بفكرة «هتلر» حول النصر الأخير.. حتى إن «روميل» بدأت تسطر عليه فكرة الوقوع في الأسر في أيدي البريطانيين.. وقد كتب لزوجته سأكون ممتناً جداً إن أرسلت لي قاموساً من الألمانية إلى الإنجليزية بواسطة البريد.. فأنا واثق من أنني سأحتاج إليه.

كان يشعر بقرب النهاية ما عاد كسابق عهده البتة.. حتى أنه أصبح أكثر هدوءاً وبالأخص عندما يكون في صحبته أشخاص آخرين.. وفقد شخصيته الفذة التي كانت تمكنه من بث الحماس في الناس.. وقدرته الخاصة على دفع الآخرين للقيام بما يريد.. إلا أنه كان يتمتع بقوة إقناع كبيرة.

في الوقت نفسه كانت القوات الألمانية في روسيا بقيادة الجنرال باولس تبلغ

(١) ابنته.

ضواحي مدينة ستالين جراد.

وفي التاسع عشر من أكتوبر كان الجيش الأحمر يحيط بهم من كل جهة وكان أمامهم أيام قليلة للانسحاب لكن باولس كان متردداً.

وفيما بعد ذكر الجنود الألمان والبريطانيون قالوا في مذكراتهم عن تلك الفترة من الحرب الكثير.. نلتقط منها هنا بعض اللمحات للتدليل على ما كان يحدث في كواليس الحرب بين الجانبين:

جندي ألماني:

كان بوسعنا أن نرى من موقع المراقبة وأن نشاهد الجانب البريطاني.. رأيناهم عندما كانوا يعدون مواقعهم ويصفون دباباتهم ومدافعهم وهكذا عرفنا ما سوف نواجهه.

في شهر تشرين الثاني من العام ١٩٤٢ وفي تمام الساعة التاسعة وأربعين دقيقة مساء بدأ الهجوم البريطاني لا يمكن وصف أحداث المعركة على الرغم من أننا كنا مختبئين لم يفارقنا شعور بأننا سنتعرض للقصف لأنهم لم يتمكنوا من قتل الجنود كلهم.

لقد حقن مونتجمري قلوب جنوده بالحرب يجب أن يشعر الجميع برغبة حارقة في قتل الألمان.

إذا سألتني عن مشاعري تجاه العدو قلت لك إنها لم نكن موجودة في المعركة لأن مشاعر الحقد لن تظهر إلا بعد القتال بعد سقوط الجرحى والأسرى لم تكن لدينا أية مشاعر عدائية تجاه العِدو خلال المعركة فقد كنا نخوض حرباً لا ألعاب أطفال.

كان انسحابنا أشبه بموكب جنازة.. تدنت معنوياتنا إلى الحضيض.. وعندما

عبرنا قرب طبرق تملكتنا جميعاً رغبة شديدة في البكاء.. بعد كل التضحيات التي قدمناها هناك أصبحنا جيشاً مهزوماً وانسحبنا كالمغلوب على أمره.

مونتجمرى يعلق على ما حدث

في مذكراته الشخصية يقول مونتجمرى عما حدث في تلك الموقعة الحاسمة الكثير.. اخترنا من بين ما قال هذه الفقرات:

لقد هزمنا جيش «روميل» وأجبرناه على الانسحاب بعد أن دمرنا قوته القتالية.. لا بل سحقناها.. هذه ليست النهاية وهي أيضاً ليست بداية النهاية ولكنها قد تكون على الأرجح نهاية البداية.

فقد كان النصر في العلمين نصراً حاسماً بالنسبة لنا.. وفي الكوخ رقم ثلاثة كانت ترد إلينا تقارير متواصلة تذكر أن جيش «روميل» أصبح منهكاً.. وأنه لم يتبق لديه إلا أربع وعشرون دبابة ثم تقلص العدد بعدها إلى سبع عشرة دبابة وأذكر في أحد الأيام أنه أرسل رسالة يقول فيها أنه لم يبق لديه سوى عشر دبابات.. إن رصدت إحدى عشر دبابة هذه المنزل فهي لن تشكل قوة كافية .

روميل يتحدث عن العلمين

كما كتب «روميل» في مذكراته في إبريل من العام ٤٣ قائلاً:

بعد كل هذه التجارب التي مررت بها أقر بأنني ارتكبت خطأ فادحاً واحداً هو أنني لم أتجاهل الأمر بالصمود.. وبعد أن أدركت أن «هتلر» لم يشأ أن يرى حقيقة الوضع كان يحمي نفسه عاطفياً أكثر مما كان يعرفه عن الواقع.

وفي الثامن من تشرين الثاني من عام ٤٢ عبر الألمان والإيطاليون البالغ عددهم سبعون ألف ألماني وثلاثون ألف إيطالي مع «روميل» مدينة الإسكندرية وفي اليوم

نفسه هبط الأمريكيون في الجزائر والمغرب وكانت تلك نهاية «روميل» والألمان في شمال أفريقيا.

وبعدها بفترة وجيزة جاءت نهاية الحرب العالمية الثانية.. بعد أن استطاع الحلفاء اكتساح شمال أفريقيا ثم احتلال إيطاليا نفسها (١٩٤٣).. ثم إنزال قواتهم في الأراضي الفرنسية في «النورمندي» وأرغم الألمان على الجلاء من فرنسا و بلجيكا وهولندا.. ثم تعقبوهم إلي داخل ألمانيا أما الجبهة الشرقية.. فبعد «ستالينجراد» استمر الجيش السوفيتي في هجوم متواصل حتى حرر الأراضي الروسية كلها.. واستمر في تعقب القوات الألمانية فحرر بولندا و تشيكوسلوفاكيا و المجر و بلغاريا ورومانيا ثم غزا الأراضي الألمانية.. و حين احتلت القوات الروسية بقيادة الجنرال «زوكوف» برلين (يونيو ١٩٤٥) انتحر هتلر و كبار قادته (وكان الشعب الإيطالي قد أعدم موسوليني قبل ذلك).. و أعلنت ألمانيا الاستسلام دون قيد أو شرط.. واشتركت القوات الروسية و الأمريكية و البريطانية في احتلال أراضيها.. أما في الشرق فأخذت القوات اليابانية تنهار يوماً بعد يوم ولكنها لم تستسلم إلا بعد أن ألقت الولايات المتحده قتبلتين ذريتين على مدينتي (هيروشيما) و (نجازاكي) فيما بين ٦ - ٩ أغسطس ١٩٤٥ فاستسلمت دون قيدٍ أو شرط .



الفصل الخامس

روميل ...
يغادر أفريقيا !!

أراد «هتلر» أن استبدال «روميل» فأرسل جنرالاً آخر للدفاع عن تونس كان يدعى «هانز يوجن بونار».. تقبل روميل الموقف بهدوء .. وفي التاسع من آذار من العام ١٩٤٣ أقله سائقه «هولمد فون» إلى المطار.

ويقول سائقه عن تلك الواقعة:

يمكنني القول إنه خلال كل الفترة التي عشناها معا في شمال أفريقيا كان روميل بمثابة معلمي.. وكان صعبًا عليّ أن أراه مستبدلاً بآخر يتولى القيادة مكانه.. كان الوضع قاسياً على «روميل».. طلب خصيصاً أن أقله بنفسي إلى المطار وقد أسعدني ذلك إلى حد كبير.. لا بل وأثر فيّ تأثيراً عميقاً.

ولم يكن سعيداً بالرحيل وكان ذلك بادياً على وجهه.. رحل مقتنعاً بأن الحرب في شمال أفريقيا قد انتهت وأظنه كان يشعر بأن الحرب لن تؤول إلى نتيجة جيدة على كل الأحوال.

وعندما غادر «روميل» أفريقيا كان قد كتب لزوجته يقول : «حل الربيع هنا.. الأشجار تبرعم.. وترتدي المروج حلتها الخضراء تحت أشعة الشمس.. يمكن أن يكون العالم جميلاً جدّاً لجميع البشر إنه ساحة واسعة للسعادة أو التعاسة».

تحديد إقامته

تلقى روميل أمراً بالعودة إلى شتوتجارت وكان عليه أن يعيش في منزله السابق كمدني.. لم يكن من المفترض أن يعرف أحد في ألمانيا أنه غادر أفريقيا.. حيث كان المتطوعون في فرقة شباب «هتلر» قد جمعوا الهدايا من أصدقائهم ومن المحلات الصغيرة بالإضافة إلى خمسة آلاف سيجارة إلى المارشال «روميل» في أفريقيا.. أرسل إليهم «روميل» الشكر بالإضافة إلى بدلة جندي بريطاني ورسالة وصورة.

وكان روميل في هذا التوقيت لا يزال يتلقى خطابات من آباء وأمهات.. يعتقدون أنه لا يزال في أفريقيا ويخبرونه عن مدى ارتياحهم لوجوده إلى جانب أبناءهم من الجنود.. ولا شكَ أن كلَ ذلك كان يسبب له الإحباط والحزن.

استسلام الجيش الألماني في أفريقيا

وفي تونس في الثالث عشر من شهر آيار من عام ١٩٤٣ استسلم الجيش الألماني في أفريقيا.. وأصبح مائة وثلاثون ألف جندي ألماني ومائة وثمانون ألف جندي إيطالي أسرى لدى قوات الحلفاء.. كما لقي مائة ألف رجل مصرعهم في حرب الصحراء.

روميل في إيطاليا

في تلك الأثناء استدعي «روميل» مجدداً إلى «هتلر».. كان «هتلر» يريد إبقاء «روميل» إلى جانبه تحسباً لجميع الظروف.. بدا آنذاك أن حكم موسيليني في خطر وأراد «هتلر» أن يتفادى قيام ثورة في إيطاليا عبر إرسال قواته المسلحة إليها بقيادة «روميل».. ومع أن «روميل» فقد كل ثقته بالنصر الأخير إلا أنه كان لا يزال وفياً لهتلر.. ويؤكد سائقه الخاص ذلك فيقول:

خلال فترة تواجدي معه سمعته أكثر من مرة يشير إلى المسئولين في السلطة بكلام سيئ.. إلا أنه لم ينطق ولو لمرة بكلام جارح عن الفوهرر أو عن قيادته.. كنت أجده مندهشاً من قراراته.. ويكرر ماذا يتصورون أنفسهم فاعلين؟ لكنه كان يتكلم دائماً بصيغة الجمع.. ولا يشير إلى «هتلر» مباشرة.. بل كان يشير بإصبع الاتهام دائماً إلى الأشخاص في الإدارة العليا.. ولا يمكن القول إنه مس شخص «هتلر» يوماً ما.

نهاية موسولينى

ثم أعلن «موسيليني» الحرب على ألمانيا.. واعتبر هتلر قراره تصرفاً يدل على

خيانة وغدر.. فقد تحينت إيطاليا ضعف بريطانيا.. حيث بدت وكأنها ستخسر الحرب.. فانقضت عليها كالطائر الكاسر الذي ينقض على جيفة.. محاولاً الفوز بما يتوفر له منها.. وهذا ما حدث في النهاية .

ثم تم إقصاء موسيليني في روما في الخامس عشر من يوليو من عام ١٩٤٣ ليتولى المارشال بادوليو زمام الحكم.. وبدت إيطاليا وكأنها على وشك الانسحاب من الحرب.. وشك «هتلر» بوجود خيانة ضده هناك في إيطاليا.. فأرسل «روميل» إلى الشمال هناك ليتولى القيادة.

روميل يرحل إلى إيطاليا

وهكذا أصبح حلفاء الأمس أعداء اليوم وأمر «هتلر» بقتل الجنود الإيطاليين الذين دافعوا عن أنفسهم.. وأدى ذلك إلى مجازر عنيفة في اليونان وجنوب إيطاليا.. لكنها لم ترتكب على أيدي جنود «روميل».

كان «روميل» في تلك الفترة كلها جندياً يطلب الولاء والشجاعة غير المنقوصين.. ولكنه أيضاً جندي يسعى لتطبيق جميع القوانين المتعلقة بالحروب.. ولم يتقبل المارشال «روميل» قط الأوامر التي قد تخالف القانون.. والتي قد تؤدي إلى أذية السكان المدنيين.

بعد أسبوعين على دخول الألمان.. انضم الجنود الإيطاليون الذين يحاربون في شمال إيطاليا إلى المقاومة.

وفي الثالث والعشرين من أيلول تم تسليم تصريح إلى الجنود الخاضعين لقيادة «روميل» يقول إن كل مشاعر الود التي قد يكنها الجنود الألمان إلى رجال بادليو.. الذين يرتدون بزات رفاقنا السابقين في السلاح.. لهي مشاعر غير لائقة.. وكل من يقاتل الجنود الألمان منهم الآن قد فقد حقه في المعاملة الحسنة.. لكن على الرغم من

التصريح لم تجر أي أعمال عنيفة في المنطقة الخاضعة لسيطرة «روميل».

روميل في الغرب

بعدها بشهرين فقط تم نقل «روميل» مجدداً إلى غرب إيطاليا.. ليصبح مسئولاً عن الدفاعات هناك حيث كان غزو الحلفاء متوقعاً.. كان «هتلر» يستغل سمعة «روميل» التي كانت ضرورية لتخويف العدو.. انكب «روميل» بكل حماسه المشهود.. والمعروف على عمله كأي جندي تلقى أمراً وعليه تنفيذه.. كان يأمل أن يكون عملاً ناجحاً. ويتمكن من التصدى لغزو قوات الحلفاء.. وكان ذلك الأمل الذي تعلق به معظم الألمان.. وبدا وكأنه يعيد إليه الأمل من جديد.

لكن كان داخله يستشعر أن الأمر أصبح مستحيلاً.. وكان مازال يأمل أن يتفهم «هتلر» عواقب حالته.. وأن يرضى بالتنحي.. وإفساح المجال للسلام.. ولكن بصفته جندياً كان «روميل» واقعاً لابد من التعامل معه.. وفهم أن ما من مجال لتفادي غزو الحلفاء.. على الرغم من كل الدفاعات التي أقامها.. كان «روميل» يقوم بما يمليه عليه واجبه العسكري فحسب.

ونعود لمذكرات سائقه الخاص في حديثه عن تلك الفترة.. حيث يقول السائق:

كنت أذهب معه مدة يوم أو اثنين إلى الجبهة.. لم تكن تلك الجبهة جبهةً بكل معنى الكلمة.. كان دائماً يقوم بتفقد الدفعات الساحلية.. وكان يتكلم بصراحة وبلهجة أهل جنوب ألمانيا.. لم يكن فيلسوفاً كبيراً.. وكان يقول ببساطة لن نتمكن من القيام بأي شيء.. وسيشير إلينا الناس بأصابعهم.. وسيقولون انظروا إلى فرقة المشاة تلك.. التي بالفعل لا تحمل أي سلاح.. وانظروا إلى فرقة المدفعية التي لا تملك إلا مدفعاً واحداً.

بينما كان لا يزال يظهر بمظهر الثقة والقوة أمام الكاميرا.

وفي الخامس من يونيو عام ٤٤ أذيعت نشرة الأرصاد الجوية التالية عند ساحل الأطلسي.. الغيوم من مائتين إلى ثلاث مائة متر.. سرعة الرياح بين خمسة وستة والبحر هائج والموج مرتفع بدا احتمال التعرض للغزو مستحيلاً في هذه الظروف الجوية استغل «روميل» هذه الفرصة لكي يعود إلى منزله في هيرنجل.

الإسلام في وجود هتلر

برغم كل ذلك الأمل القابع داخل روميل كان قد وصل إلى درجة من اليقين جعلته مؤمنًا تماماً أنه لو كانت لدي ألمانيا قيادة أخرى للحرب بشكل عام.. لتمكنت من الصمود إلى درجة حمل الحلفاء على الأقل على طرق أبواب التفاوض.

وكان قد عدل كلياً على فكرة النصر الأخير لصالح الألمان.. لكنه كان يأمل بسلام مقبول من خلال المفاوضات.. إلا أن الحلفاء طالبوا بالاستسلام غير المشروط وأدرك «روميل» أن لا سلام بوجود «هتلر».. بينما كان «هتلر» يردد مقولة واحدة لا تتغير وهي :

« لن أقبل أبداً باستسلام غير مشروط».

وكان «روميل» يأمل أن يعتقل «هتلر» في النهاية.. أو على الأقل يتنازل عن الحكم ليفسح المجال أمام سلام مقبول.. لكن كان للقدر رأيٌ آخر.

وبقي ما كتبه روميل في مذكراته الخاصة هو أفضل توصيف لتلك الحالة التى كان عليها حيث كتب يقول:

«العدالة أساس ضروري من أسس الحكم.. لكن الحكم قذر وسفاح ويتحمل ذنباً كبيراً».

روميل يرفض

وحاول المتآمرون.. والرافضون بقاء «هتلر» التقرب من «روميل» وجذبه إلى صفوفهم باعتبار أنه أكثر الجنرالات شعبية..

وفي الأول من شهر فبراير عام١٩٤٤ وخلال قضاءه أجازته في منزله في هيرميجل تلقى «روميل» زيارة من شترولن.. وقال له شترولن إن كل شيء سيضيع في حال عدم إزاحة «هتلر».. وأخبره عن المجازر البشعة التي ارتكبها الحكم.. ولم يكن «روميل» قد سمع بتلك الأخبار قبل ذلك.

ورفض «روميل» التورط في عملية التخطيط لاغتيال «هتلر» لكنه لم يخن ثقة المتآمرين.

ويقول روميل في مذكراته عن ذلك:

«بالنسبة إلى قائد أعلى كان اغتيال رئيس الدولة أمراً مستحيلاً بكل بساطة.. ما كان أحد من قادة الجيش يفكر في ذلك بسبب خلفيته وتدريبه العسكري.. فقد كانوا مدربين جيداً ومثقفين في المسائل العسكرية لا السياسية».

يوم الإنزال الشهير

وفي الساعة السابعة من صباح السادس من يونيو عام ١٩٤٤ وبينما كان ما يزال في منزله في هيرنجل تلقى «روميل» أخباراً سيئة.. مفادها التالي:

قرابة ساعة الحادية عشر ليلة الأمس.. غادرت أولى القوات الجوية البريطانية مطاراتها.. وفي الواحدة بعد منتصف الليل بدأ الهجوم على موقع القوات الألمانية شمالي نهر السين.. ووصل المظليون خلف خطوطهم.

في الساعة السادسة والنصف صباحاً نزل أول الجنود البريطانيين والأمريكيين عند ساحل النورماندي.. كان ذلك يوم الإنزال الشهير.

بينما بقي الأسطول الإنجليزى الكبير لم تمسه الطائرات الحربية الألمانية.. لأنها لم تقلع أساساً عن الأرض.. وتمكنت طائرات الحلفاء المقاتلة من تأمين الحماية اللازمة للأسطول.. كانت كل المعطيات الموجودة تؤكد أنها ستكون معركة حاسمة.. وسيخسرها الألمان لا محالة.

وبعد أربعة عشرة ساعة كان قد عاد إلى مقر قيادته.. لكن الحلفاء كانوا قد أحرزوا تقدماً كبيراً.. خشي «روميل» التعرض للغزو للمرة الثانية.

في اليوم التالي أرسل «روميل» جنوده إلى موقع احتياطي عند شاطئ القناة.. وبطولها.. ظناً منه أن الإنزال الفعلي لم يحدث بعد سيأتي عما قريب.. لكن بعد أسبوع أيقن الجميع أن الغزو قد تم بنجاح.

وفي باريس التقى «روميل» مع جريتفول روشر القائد الأعلى للقوات الألمانية في الغرب.. وكان من المفترض أن ينضم إليهما «هتلر» أراد أن يقنعه بإنهاء الحرب في الحال.

فقال أنه سيقابل الفهرر بعد يومين وسيخبره أنه علينا أن ننهي هذه المسائل على الصعيد السياسي ولكن لدى عودته قال إن «هتلر» لديه وجهة نظر مختلفة فهو يرى الصورة بشمولية وبعد ست ساعات قال: يا إلهي لقد جذبني إليه مجدداً كيف استطاع أن يقنعني بوجهة نظره؟ لا أعلم.

وفي السابع والعشرين من يوليو التقى «روميل» وهتلر للمرة الأخيرة ولم يسمع له «هتلر» حتى بالكلام كان شتوهلبر آنذاك يحاول وضع خطة لاغتيال «هتلر».

ويعلق شتوهلبر فيما بعد في مذكراته على أحداث تلك المرحلة.. فيقول:

كانت تلك الوسيلة الوحيدة لوضع حد لجرائم القتل والتخلص من النظام الإجرامي.. وإنقاذ بلادنا وكرامتنا.. لو كنت تعلم الفظائع التي ارتكبت آنذاك لحاولت أن تضع حدّاً لها.

وفي التاسع من يوليو عام ١٩٤٤ أُخبر «روميل» في لارش بيور عن عملية الاغتيال المتوقعة.. كانت تلك المحاولة الأخيرة لجذب «روميل» إلى فكرة التخلص من «هتلر» وحققت هذه المرة النجاح المرجو منها.. وبعد أربعة أيام أرسل «روميل» إلى «هتلر» رسالة أخيرة يناشده فيها بقوله:

«الجنود يقاتلون كالأبطال.. لكن هذا الصراع غير المتوازي سيصل إلى نهايته.. أعتقد أنه علينا أن نستنتج خطواتنا المقبلة من الوضع الراهن.. وأشعر أنه من واجبي كقائد أعلى للجيش أن أقول هذا بوضوح».

لم يتوقع «روميل» ردا من الفهرر فهو يعرفه تماماً وهو ويعرف كيف سيكون رد فعله على البرقية كان قد وضع في نفس الوقت خطة جريئة ليضع حدّاً للحرب.

أراد أن يستسلم في فرنسا.. وأن يفسح المجال أمام الأمريكيين والبريطانيين والفرنسيين.. وكان يأمل أنه في ظل الهجوم على «هتلر» في برلين.. سيكون دخول الحلفاء خالياً من كل الفظاعات.

بداية النهاية لهتلر

أراد أن يفعل أفضل ما بوسعه في ظل الظروف الراهنة وكان يعلم أن عليه أن يعقد سلاماً مع الحلفاء وإلا واجه كارثة محتمة.. ولو أنه تمكن فعلاً من عقد السلام لما حدثت كارثة برستن ولما تم تدمير مئات البلدان والقرى الألمانية.

كـان «رومـيـل» يـزور الجبهـة كـل يـوم.. أراد أن يكسـب ثقـة قادتـه وأن يحـاول إقناعهم بدعم خطته.

واختار مرتين إنقاذ رجاله على الرغم من خطورة ذلك على حياته.. كانت المرة الأولى في العلمين.. حيث انسحب متحدياً أوامر «هتلر».. وكانت المرة الثانية عندما تآمر مع قادة جنوده.

وفي السابع عشر من يوليو زار «روميل» سيد بيتش.. وهو جنرال بحري معروف وأحد المقربين من «هتلر» وسأله «روميل» :

- هل تقبل بالامتثال لأوامرى.. حتى ولو كانت مخالفة لأوامر «هتلر»؟.

أجابه سيد بيتش:

- أنت قائدي وسأنفذ كل ما تطلبه مني على الرحب والسعة.. في الوقت نفسه كانت طائرات سلاح الجو البريطاني تقلع من مطاراتها لتصنع مشهد النهاية في ألمانيا.

ويُعلق « سيد بيتش » على ما ترتب على هذا الحديث فيقول:

كنا نطلق النار على السيارات والدبابات.. وسيارات الجيش.. والمواكب.. وأي هدف نجده أمامنا.. لم نكن نعرف الأشخاص الذين نطلق النار عليهم.. فلم يكن لدينا وقت لتبادل البطاقات الشخصية.

لكن بعد انتهاء الحرب عرف أحدنا وكان يُدعى «جاك رملينج» أنه أطلق النار على «روميل» فأصابه إصابة بالغة.. ونقل إلى مستشفى عسكري.

وصلت إلى المستشفى بعد أربع أو خمس ساعات على إحضاره.. وأحضرت معي أحد أطبائنا.. رأيت صورة الأشعة التي تظهر تصدعاً واضحاً في جمجمة رأسه..

كانت إحدى عينيه متورمة.. وكان وجهه مغطى بالجراح.

أومأ برأسه إليّ فلم يكن غائباً عن وعيه.. ولكنه لم ينطق بكلمة.. تكلمت مع الأطباء الفرنسيين.. وأخذت صورة الأشعة إلى رئيس الأطباء.. وبعد ساعتين غادرت المستشفى وعدت إلى مقر القيادة.

محاولة فاشلة لاغتيال هتلر

وفي العشرين من يوليو عام ١٩٤٤ أى بعد ثلاثة أيام فقط من إصابة «روميل» أطلق تشتوت هلبن قنبلة على مقر قيادة هتلر في راسملبرج.. ولكن محاولة الاغتيال باءت بالفشل.

وحاولت مجموعة صغيرة من الضباط الطموحين.. إزاحة قيادة الجيش الألماني بأكملها. لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل .

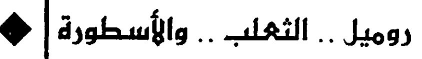
في اليوم التالي قام «هتلر» بزيارة الجرحى..

وكتب «روميل» في الرابع والعشرين من يوليو إلى زوجته من سريره بالمستشفى يقول بالإضافة إلى الحادثة التي تعرضت لها.. فإن أكثر ما زعزع كياني كان هذا الهجوم على «هتلر» ولا يسعنا إلا أن نشكر الله أنه انقضى بسلام.

فقد كان «روميل» يعلم أنهم يقرءون رسائله لهتلر شخصياً قبل أن تأخذ طريقها العادى للمرسلةً إليهم عبر البريد الحربي.

ثم تماثل روميل للشفاء ببطء لكن عينه اليسرى ظلت متورمة.





الفصل السادس

نهاية قائد استثنائي !!

وبعد أسبوعين من تماثله للشفاء.. خرج روميل من المستشفى العسكري عائدًا إلى منزله وكانت تلك نهاية حياته العسكرية.

وهناك كان واحد من مقر القيادة يذهب أسبوعياً إلى منزله.. لكي ينقل إليه تقريراً ويطلب نصيحته.

وفي الثامن من أغسطس من عام ٤٤ بدأت محاكمة المتآمرين العلنية وتولاها رون فريزلا وكان المارشال أربن فلونجبسليبن أحد المتهمين.

تم شنق المتهمين في اليوم نفسه.. استمرت استخبارات الجستابو باستجواب كل من له علاقة بمحاولة اغتيال «هتلر».. وذُكر اسم «روميل».. وجاء في مستند غير معلن من سكرتير «هتلر» مارتن بوجن ما يلي:

قيل إن المارشال «روميل» كان على علم بما يجري وقال «روميل» إنه بعد نجاح الاغتيال سيضع نفسه في تصرف الحكومة الجديدة.

عرف «روميل» أن حياته في خطر.. وتكلم مع ابنه حول ماذا يكون رد فعل «هتلر».

قال إن «هتلر» لن يتجرأ على اتهامي لأن لذلك مفعولاً سلبيّاً على معنويات جنوده.. وقال إن «هتلر» ليس غبيّاً ليقدم على عمل كهذا.. وكان مقتنعاً أيضاً بأنه لو تمت دعوته لزيارة برلين فسيتم قتله سرّاً.. ومن ثم يروجون لقصة وهمية حول موته.

هتلر يأمر بتصفية روميل

كان قرار «هتلر» هو لا بد من تصفية «روميل».. فمن وجهة نظره لم يمنح أي خيار آخر.. وأراد بنفس الوقت أن يتجنب إعلان خبر تعامل «روميل» مع المتآمرين.

تشاور هتلر في الأمر مع مستشاره الخاص ووزير دعايته «جوبلز» .. فاقترح عليه الأخير الخطة التي ستتحدث عنها والتي نُفِذت بالفعل .. لكن في البداية كان رد هتلر عليه بالاعتراض .. وقال له :

- هل تريد أن تجعل منه أسطورة في موته .. مثلما جعلت منه أسطورة في حياته ؟

وكان هتلر يقصد أن إعلام جوبلز كان هو السبب في تضخيم بطولات روميل وإظهاره بشكل أسطوري .

وفي النهاية رضخ هتلر لاقتراح جوبلز وبدأ تنفيذ الخطة .

وفي الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٤٤ جاء جنرالان من مقر قيادة «هتلر» إلى منزل «روميل».. وكان يحملان قارورة من سم السيانيد فعرف «روميل» ما ينتظره.. وأخبره الرجلان بالرسالة التى يحملانها إليه من قِبل هتلر.. والتي يخيره فيها بين الانتحار وضمان سلامة أسرته في النهاية .. أو المحاكمة واتهامه بالخيانة العظمى ففضل«روميل» الانتحار بالسم بينما كان رجال الجستابو يرتدون ملابس مدنية ويطوقون منزله.

ويقول ابن روميل عن أحداث ذلك اليوم:

جئت في الصباح لكي أساعد أبي في أشغاله خلال نهاية الأسبوع.. وقال لي والدي قد ينتهي أمري هذا المساء.. هذا معقول؟ تكلم معي.. ومن ثم جاء جنرالان.. وكان الأمر طبيعياً في البداية.. طلبا التحدث إليه على انفراد.. كان يعلم ما سيجري فقد كان الأمر بديهياً.

قال «روميل» للجنرالين أحببت الفهرر.. ولازلت أحبه.. وهناك مؤشرات إلى أنه حتى في ساعة موته لم يتمكن «روميل» من نزع حب «هتلر» من قلبه.. مُنح خمس عشرة دقيقة لكي يودع عائلته ثم غادر المنزل.

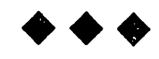
خرجت لكي أودعه فنظر إلينا.. ومن ثم إليَّ من دون أن ينطق بكلمة ثم دخل السيارة وانتهى الأمر.

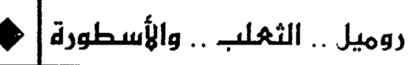
بعد فترة قصيرة تناول «روميل» السم.. زور طبيب شهادة الوفاة قائلاً إنه مات جراء أزمة قلبية تعرض لها أثناء أداء واجبه على الجبهة الغربية.

الوداع

وفي الثامن عشر من أكتوبر من العام ١٩٤٢ أقيمت جنازة «روميل» في مدينة هول بقرب شتوتجارت تلك الجنازة التي حولها «هتلر» إلى مناسبة قومية.. مستغلاً إياها لأغراض دعائية.

وانطلق موكب الجنازة من جوتن دام دون داخما.. ومن ثم توجه الجنرال برونديشترت ممثل الفهرر إلى النعش وألقى خطابه.





خاتمة

الشعوب تدفع فواتير الحروب





وهكذا أسدل التاريخُ ستائرَ النهاية على حياة رجلٍ استثنائي.. في تاريخ بلاده.. استثنائي في تاريخ تلك الحقبة من الزمان.. رجلاً أضرب أروع الأمثلة في إيمانه.. وإخلاصه لوطنه.. وإطاعته أوامر رؤساءه في أكثر لحظات اتخاذ القرار صعوبة.. وكما رأينا كان عليه أن يختار بين أمرين كلاً منهما أصعب من الآخر.. إما أن يضحي بنفسه.. ويختار الانتحار.. وإما المحاكمة ومجابهة تهمة الخيانة العظمى التى هو أبعد ما يكون عنها عملياً.. لكنه ساعتها سيكون أقرب ما يكون لها نظرياً بتحريض هتلر وحاشيته الذين كانوا يبحثون عن كبش فداءٍ يحملونه أمام الشعب الألماني فاتورة تهورهم.. وفشلهم.

الاحتمال الأخير كان يعنى تلويث سمعته.. وسمعة أسرته.. وأبناءه إلى الأبد.. حتى وإن جاء من ينصفه ويعيد إليه حقه فسيكون ذلك بعد أجيالٍ.. وأجيال.. خاصةً أن هتلر كان يملك وقتها أخطر مهندس إعلام.. ومروج أكاذيب عرفه التاريخ على الإطلاق.. وهو وزير دعايته «جوبلز» الذى لم يكن ليعدم القدرة على قلب كل الحقائق بالشكل الذى يطلبه منه هتلر.. بل وبالشكل الذى ينافي كل موضوعيةٍ.. ومنطق.

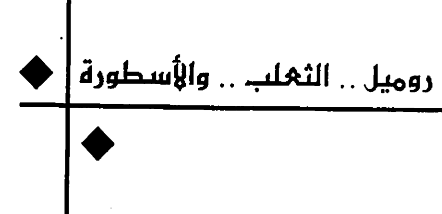
أما الاحتمال الأول فكان يعنى أولاً التعجيل بموته.. ثم إظهار الأمر أمام الشعب الألماني وكأن روميل يعترف بأخطاءه.. وندم عليها لدرجة الانتحار.. ثم يضمن كافة حقوقه الشرعية كرجل عسكري لأسرته من بعده.. من معاش.. وجنازةٍ عسكرية.. وغيره.

ويبقى أن كلاً من الاحتمالين كانا مقدمان لروميل على شهادة وفاته.. بمعنى أنه في الحالتين ميتٌ.. ميت.. فاختار أن ينقذ وطنه باستقرار قيادته في أصعب مراحل الحرب.. ثم استقرار أسرته الصغيرة.. وإنقاذ سمعته.. وترك للتاريخ أمر الباقي.

....

وأتمنى .. ونحن في نهاية هذه الرحلة القصيرة مع ذلك القائد الذى لا ينسى..
أن نكون قد تمكنا من المساهمة ولو بقدر ضئيل في إنصاف التاريخ لهذا الرجل





ملف صور

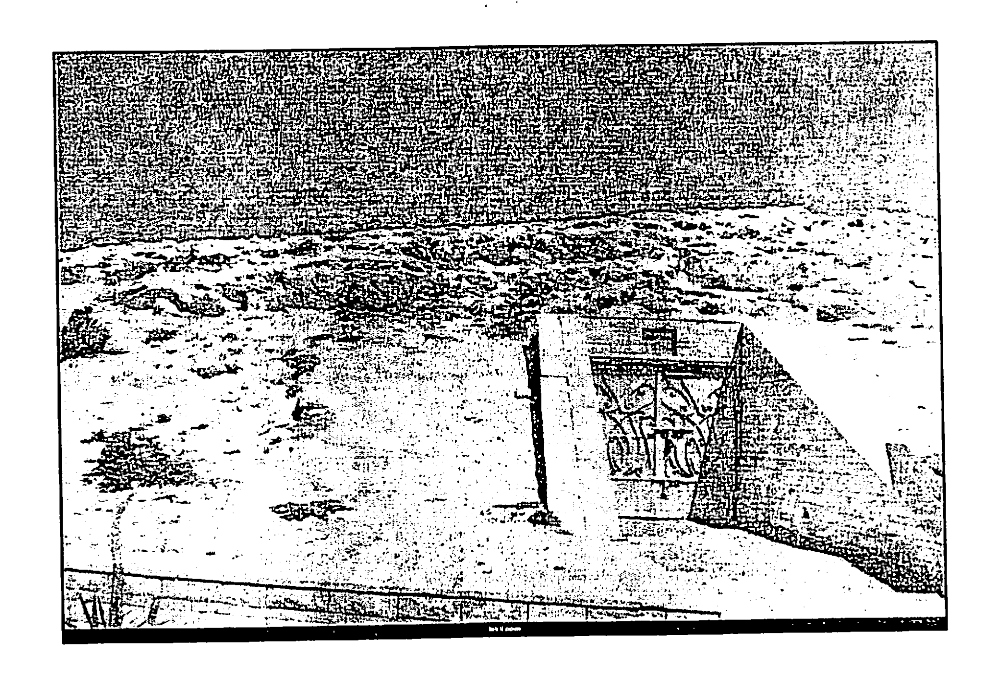








هتلر.. وروميل صفاء انتهى بالغدر



في صحراء مصر الغربية.. وهنا في هذا المكان.. كان « روميل » يدير معاركه في الحرب العالمية الثانية .. المكان تحول الآن إلي متحف خاص تعرض فيه مقتنيات روميل الشخصية أثناء إقامته به

أهم المصادر

- «مذكرات روميل».. ترجمة فتحي عبد الله النمر.. مكتبة الأنجلو المصرية.. القاهرة.. ١٩٦٦.

- محمود سليمان محمود.. «روميل والفيلق الأفريقي».. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.. ١٩٩٨.

- موسوعة ويكيبيديا (تعريف الشخصيات).



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

